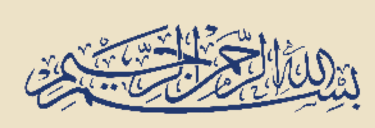


اقرأ في هذا العدد

- مولد النور
- الشيعة في الاندلس
- معانات الشيعة في حكومة الشيخين
- الامام العسكري عليه السلام يلاحق الافكار المنحرفة ويردها



الإشراف العام ورئيس التحرير

الشيخ علي الفتلاوي

سكرتير التحرير

محمد رزاق صالح

هيأة التحرير

السيد صفوان جمال الدين

السيد حسين الزاملي

محمد رزاق صالح

محمد فاضل محمد

التدقيق اللغوي

أ.خالد جواد العلواني

التصميم والاخراج الفني

السيد علي ماميثة




إصدار قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق -وزارة الثقافة لسنة ٢٠٠٩-١٢١١

هاتف: ٣٢٦٤٩٩-بدالة: ٣٢١٧٧٦ - داخلي: ٢٤٢

موقع العتبة www.imamhussain.org

موقع القسم www.imamhussain-lib.org

بريد القسم info@imamhussain-lib.org

فضل المداومة على العمل الصالح

خلق الله تعالى عباده، وأراد لهم أن يصلوا الى درجات القرب الإلهي، وان ينالوا كما لهم من خلال بعثة الانبياء والرسل عليهم السلام، والسير على هديهم وارشاداتهم، ومما أرشد إليه الانبياء وأوصيائهم هو المداومة على العمل الصالح وان كان ذلك قليلاً فلذا ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (في اتباع الآثار والسنن وان قل، أرضى لله وانفع عنده في العاقبة من الاجتهاد في البدع واتباع الأهواء).

ففي هذا الحديث اشارة صريحة بضرورة المداومة على العمل حتى لو كان ذلك العمل قليلاً كصلاة ركعتين لبر الوالدين مثلا، كما أن الحديث أرشد الى ترك الاجتهاد بالرأي في اختراع اعمال ليس فيها نص صادر عن النبي او الوصي الحق لما في ذلك من ابتداع في الدين.

ووردت بعض الروايات عن أئمة اهل البيت عليهم السلام تؤكد هذا المعنى كما في:

١ . قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (افضل الاعمال أدومه وان قل).

٢ . قول الامام علي عليه السلام: (قليل تدوم عليه، أرجى من كثير محلول منه).

٣ . قول الامام الباقر عليه السلام: أحب الاعمال الى الله عز وجل ما داوم عليه العبد، وان قل.

٤ . قول الامام الصادق عليه السلام: العمل الدائم القليل على اليقين، افضل عند الله من العمل الكثير غير يقين.

وهناك كثير من الاحاديث والروايات التي تشير الى ان الاستمرار في العمل الصالح القليل خير من العمل الكثير الذي يبعث فيك النفور ثم الانقطاع، ولذلك ارشد الامام الصادق عليه السلام الى المدة التي ينبغي بالعامل ان يكرر العمل القليل فيها فقال عليه السلام: (من عمل عملاً من اعمال الخير فليدم عليه سنة، ولا يطعه دونها).

فلهذه النصيحة ينبغي بالمؤمن ان يجعل لنفسه ورداً يعمل به لمدة سنة أو أكثر لكي يسجل عند الله تعالى من أهل هذا العمل لاسيما عند مجيئ ليلة القدر وهو يعمل به.

المشرف العام



أسباب عدم حضور سليمان في واقعة عاشوراء

١. وضع قادة الشيعة في السجون، منذ تحرّك مسلم إلى ما بعد عاشوراء:

تغيّرت الأوضاع في الكوفة بعد مجيء عبيد الله بن زياد، فاتّجهت نحو ما فيه ضرر للشيعة. قرّر عبيد الله التخلّص من مسلم وأتباعه، فسجن عدداً كبيراً من الشخصيّات الشيعيّة[١]. وعلى الرغم من أنّ المصادر التاريخيّة المعتبرة لم يتحدّث أيّ منها عن وجود سليمان، والمسيّب، ورفاعة والقادة الآخرين من التوّابين في السجن، إلّا أنّ بعض علماء الشيعة يعتقد بأنّ أمثال سليمان لم يتمكّنوا من نصرة مسلم، بسبب وجودهم في السجن، وبذلك لم يتمكّنوا من الحضور في كربلاء. ويقول بعض الباحثين في تاريخ الشيعة: "ومن ثَمّ تجد قلّة في أنصاره مع كثرة الشيعة بالكوفة، ولقد كان في حبسه اثنا عشر ألفاً كما قيل، وما أكثر الوجوه والزعماء فيهم، أمثال المختار، وسليمان بن صرد الخزاعي، والمسيّب بن نجبة، ورفاعة بن شدّاد، وإبراهيم بن مالك الأشتر"[٢].

ويؤيّد هذا الإحتمال مجموعة من الشواهد التاريخيّة:

أ- إذا أخذنا بعين الاعتبار التاريخ المشرّف لهؤلاء العظماء، بالأخصّ في ملازمتهم لأئمّة الشيعة، وحضورهم البارز في الساحات العسكريّة، بل والثبات العظيم لبعضهم في ميادين القتال- كما سبق وأشرنا، وقد تجلّى ذلك بوضوح في ثورة التوّابين الدامية- فمن البعيد جدّاً أن يكونوا قد سمعوا نداء مظلوميّة واستغاثة سيّد الشهداء وسفرائه، ثمّ، وبسبب الخوف أو التردّد، تركوا إمامهم وحيداً مع أنّهم أصرّوا على دعوته في بادئ الأمر.

ب- عندما توقّف الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء، خاطب ابن زياد الناس في الكوفة طالباً منهم المسير نحو كربلاء، لقتال الإمام الحسين عليه السلام وهدّدهم قائلاً: "فأيّما رجل وجدناه بعد يومنا هذا متخلّفاً عن العسكر برئت منه الذمّة"[٣].

ويقصد من هذا الكلام أنّ كلّ من لم يلتحق به سيقتل، لذلك أمر ابن زياد القعقاع بن سويد التجوّل في المدينة ومراقبة من تخلّف عن العسكر. وأثناء تجواله وجد شخصاً من قبيلة همدان قدم الكوفة طلباً لإرث له. أخذه إلى عبيد الله فأمر بقتله، فلم يُر بالغٌ يتجوّل في الكوفة بعد ذلك إلّا وقد التحق بمعسكر الكوفة، أي أنّه ذهب إلى النخيلة[٤].

بناءً على ما تقدّم، فأهل الكوفة لم يكن باستطاعتهم عدم الذهاب إلى كربلاء؛ لأنّ عدم ذهابهم يعني مقتلهم.

أمّا الشيعة الذين كانوا يرفضون الإلتحاق بجيش عبيد الله بن زياد، فكان أمامهم طريقان: إمّا الالتحاق بالإمام سرّاً، أو الهروب من الكوفة. وبما أنّ سليمان وأصحابه لم يكونوا في كربلاء، ولم يتحدّث أحد عن هروبهم حيث إنّ الهروب لا يتناسب مع شجاعتهم وقدراتهم العسكريّة، لذلك فالاحتمال الأقوى أن يكونوا في السجن.

ج. خاطب الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء عدداً كبيراً من الذين أرسلوا إليه بالرسائل وعاتبهم كيف دعوه للمجيء ثمّ خذلوه[٥]. إلّا أنّه لم يأت على ذكر كبار الشيعة، فلو كانوا قصّروا في حقّ الإمام، لكانوا يستحقّون العتاب أكثر من الآخرين. وهذا يعني أنّ أمثال سليمان قطعاً كانت لهم أعذارهم في عدم التحاقهم بالإمام. إلّا أنّه، وكما أشرنا سابقاً، فإنّ أيّاً من المصادر التاريخيّة المعتبرة لا يؤيّد ذلك. يضاف إلى ذلك أنّ بعض عظماء الشيعة الآخرين أمثال حبيب بن مظاهر لم يكونوا في السجن، مع أنّهم كانوا من قادة الشيعة المعروفين، ومن الذين دعوا الإمام الحسين عليه السلام للقدوم، فإذا كان الكلام في أنّ قادة الشيعة كانوا مسجونين لكان يجب وجود حبيب بن مظاهر معهم.

٢- وجود مانع لعدم الحضور في كربلاء:

لقد اتخذ عبيد الله بن زياد العديد من الإجراءات التي من شأنها منع الناس من الالتحاق بالإمام عليه السلام. وضع الكوفة تحت مراقبة مشدّدة[٦]، واعتبر أنّ النقباء[٧] هم المسؤولون عن كلّ ما يجري في الكوفة، وهدّدهم بأنّ كلّ من يخفي عنه شيئاً فسيكون مصيره الإعدام. وحذّر الناس بأنّ كلّ من يشتبه بتعاونه مع الإمام الحسين عليه السلام فإنّ مصيره القتل من دون محاكمة وسيحرق منزله وتصادر أمواله[٨]. وأسّس لجاناً أمنيّة خاصّة شدّدت الخناق على الداخل والخارج إلى الكوفة. وأمر الحصين بن نمير بمراقبة المنطقة الممتدّة بين القادسيّة وقطقطانة وأن يمنع من يريد العبور إلى ناحية الحجاز حتّى لا يلتحق بالإمام[٩]. وكتب إلى واليه على البصرة يأمره ببثّ العيون ومراقبة الطرق واعتقال كلّ من يعبر عنها[١٠]. وكذلك أمر بمراقبة الطرق بين الواقصة نحو الشام إلى طريق البصرة وأن لا يسمح لأحد بالعبور في تلك المنطقة[١١]. وممّا يذكر أنّ حبيب بن مظاهر، دعا بني أسد الذين كانوا يسكنون بالقرب من تلك المنطقة، إلى نصرة الإمام الحسين عليه السلام. إلّا أنّ جيش عبيد الله منع سبعين شخصاً منهم أرادوا الوصول إلى كربلاء والالتحاق بالإمام عليه السلام[١٢].

بناءً على ما تقدّم كيف يمكن للشيعة الالتحاق بالإمام ونصرته؟ ومن الواضح أنّ هذا الجواب ليس صحيحاً ولا كافياً، لأنّه- كما أشرنا- وبرغم الصعوبات والمراقبة الشديدة، فقد تمكّن بعض الأشخاص أمثال حبيب بن مظاهر ومسلم بن عوسجة وآخرين من الالتحاق بالإمام[١٣].

٣- عدم توقّع شهادة الإمام الحسين عليه السلام:

منذ أن وصل الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء، كان قد بقي إلى اليوم العاشر من محرّم ثمانية أيّام. خلال تلك المدّة، لم يكن أحد من الناس يتوقّع حصول الحرب والقتل، وكانوا يعتبرون جيش عبيد الله بن زياد هو أقرب إلى أن يكون تهديداً عسكريّاً من أن يرتكب فاجعة أو مذبحة قتاليّة. حتّى أنّ بعض قادة معسكر عبيد الله بن زياد كالحرّ بن يزيد تعجّب يوم العاشر من صدور الأمر بقتل الإمام، فبعد أن وجد الأمر جدّياً في قتال وقتل أهل البيت عليهم السلام التحق بالإمام عليه السلام[١٤]. تحدّث الحرّ مع الإمام بحالة من الخجل وقال له: "والله الذي لا إله إلّا هو ما ظننت أنّ القوم يردّون عليك ما عرضت عليهم أبداً، ولا يبلغون منك هذه المنزلة، فقلت في نفسي لا أبالي أن أطيع القوم في بعض أمرهم ولا يرون أنّي خرجت عن طاعتهم"[١٥].

الظاهر أنّ الكثير من الشيعة كانوا يعتقدون بأنّ الخلاف بين الإمام عليه السلام وبني أميّة يمكن حلّه من خلال الصلح والحوار وكانوا لا يتوقّعون أن تصل دناءة يزيد وانحطاطه إلى مستوى إراقة دماء أفضل عباد الله وبقيّة رسول الله صلى الله عليه واله وسلم الوحيد على الأرض، وذلك في شهر يحرم فيه القتال، سواء كان في العادات العربيّة القديمة، أو طبقاً لأحكام وتعاليم الإسلام.

وكان الشيعة قبل ذلك قد شاهدوا الصلح بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية وحضروا قضيّة التحكيم بين الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ومعاوية، فكانوا

يتوقّعون أيضاً حلّ هذا الخلاف طبق الأسلوب السابق، ولكنّهم غفلوا عن أن يزيد لم يكن كمعاوية، وأنّ الظروف الحاكمة في هذه المرحلة لا تشبه تلك التي كانت في زمن الأئمّة عليهم السلام السابقين.

صحيح أنّ هذا الاحتمال عند مقارنته بالاحتمالات الأخرى يبدو هو الأقرب، إلّا أنّه ليس تامّاً أيضاً؛ لأنّنا نجد أنّ الكثيرين قد حذّروا من التوجّه نحو الكوفة وذكّروه بخداع الكوفيّين، وتوقّعوا شهادة الإمام وأصحابه، بالإضافة إلى أنّ الإمام عليه السلام قد أخبر مراراً عن شهادته في هذا السفر. بناءً على هذا فإنّ شهادة الإمام عليه السلام لم تكن خافية على كلّ صاحب بصيرة في ظلّ الظروف والقرائن والأجواء الحاكمة على العراق من قبل يزيد، وفي أقلّ الاحتمالات كان هناك احتمال وجود خطر يتهدّد الإمام عليه السلام من قبل جيش يزيد المجرم الذي لم يكن مقيّداً بأي من الأحكام والقيم الإسلاميّة، وهذا يتطلّب استعداداً خاصّاً من قبل الشيعة. وقد تمّ اختبار هؤلاء الناس في قضيّة مسلم فكانت الفرصة مؤاتية للوفاء بوعودهم ودعواتهم، ولكن لم يظهر منهم أيّ عمل مؤثّر. لذلك يمكن القول إنّ الشيعة في تلك المرحلة كانوا يعيشون حالة انعدام للإرادة وحالة حيرة وفقدان للقائد المفكّر الشجاع في الكوفة، والذي يمكنه إيجاد حالة الاتحاد والانسجام بين الشيعة، بالأخصّ بعد شهادة مسلم بن عقيل وفقدان القائد الذي يمكنه توضيح التوجّه السياسيّ لهم في تلك المرحلة الحسّاسة، وهذا ما دفع بالشيعة إلى مواجهة أزمة كبيرة. في الواقع فإنّ الشيعة قد اتّبعوا، في هذه المرحلة، سياسة السكوت والانتظار والاستسلام للقدر. والملاحظ أنّ كبار الشيعة، في الكوفة، تخلّفوا عن مسلم عند قدومه إليها، ولعلّ ذلك كان بحجّة أنّهم بايعوا الإمام عليه السلام ووعدوه بالنصرة ولم يبايعوا مسلماً! لذلك امتنعوا عن نصرته[١٦].

إنّ قساوة عبيد الله بن زياد كما ذكرنا وتضييقه على الشيعة وشهادة سفير الإمام عليه السلام في الكوفة، ساهم في وجود خطر حقيقيّ يهدّد حياة الإمام، لذلك كان يتوقّع من الشيعة الالتحاق بالإمام ونصرته عند بروز الخطر ولم يكن يتوقّع منهم السكوت والانتظار والاستسلام للقدر. ولعلّ هذا السكوت هو الذي أحيا التوبة والندم والإحساس بالذنب بين الشيعة. ونقلت بعض المصادر أنّ بعض أهل الكوفة كان، يوم العاشر، يعتلي الجبل ويتوجّه إلى الله تعالى بالدعاء: "اللهم أنزل عليه نصرك", وقد شاهدوا بأنفسهم غربة ووحدة إمامهم[١٧].



١- اتفقت الآراء حول بعض الأفراد أمثال ميثم التمّار وعبد الله بن الحارث والمختار، على الرغم من أنّ ميثم قد استشهد قبل حادثة عاشوراء.

٢- محمّد حسين المظفّر، تاريخ الشيعة، ص ٤٢.

٣- أبو حنيفة الدينوريّ، الأخبار الطوال، ص ٢٥٤ ـ ٢٥٥.

٤- مرتضى العسكريّ، معالم المدرستين، ج ٣، ص ٨٣.

٥- خاطب الإمام الحسين يوم عاشوراء جيش عمر بن سعد فقال: "... يا شبث بن ربعيّ يا حجّار بن أبجر ويا قيس بن الأشعث ويا يزيد بن الحارث ألم تكتبوا إليّ أن قد أينعت الثمار واخضرّت الجنات وطمّت الجمام وإنّما تقدم على جند لك مجند فاقبل". قالوا له: "لم نفعل..." (أبو مخنف، مقتل الحسين ص ١١٨).

٦- الطبريّ، تاريخ الأمم والملوك، ج ٤، ص ٢٦٣.

٧- النقباء هم المكلّفون ملاحقة ومراقبة أمور القبيلة والعلاقة بين القبيلة والحكومة حيث يتولّى الحاكم النظارة على القبيلة بواسطته (ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٥، ص ١٠١/ ابن منظور، لسان العرب، ج ٥، ص ٧٦٩).

٨- المصدر نفسه، ج ٤، ص ٢٦٧.

٩- أبو حنيفة الدينوريّ، الأخبار الطوال، ص ٢٤٣.

١٠- الطبريّ، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٢٦٣.

١١- المصدر نفسه، ص ٢٩٥.

١٢- البلاذريّ، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ١٨٠/ ابن أعثم الكوفيّ، الفتوح، ج ٥، ص ١٥٩.

١٣- ابن قتيبة الدينوريّ، الإمامة والسياسة، ج ٢، ص ٧.

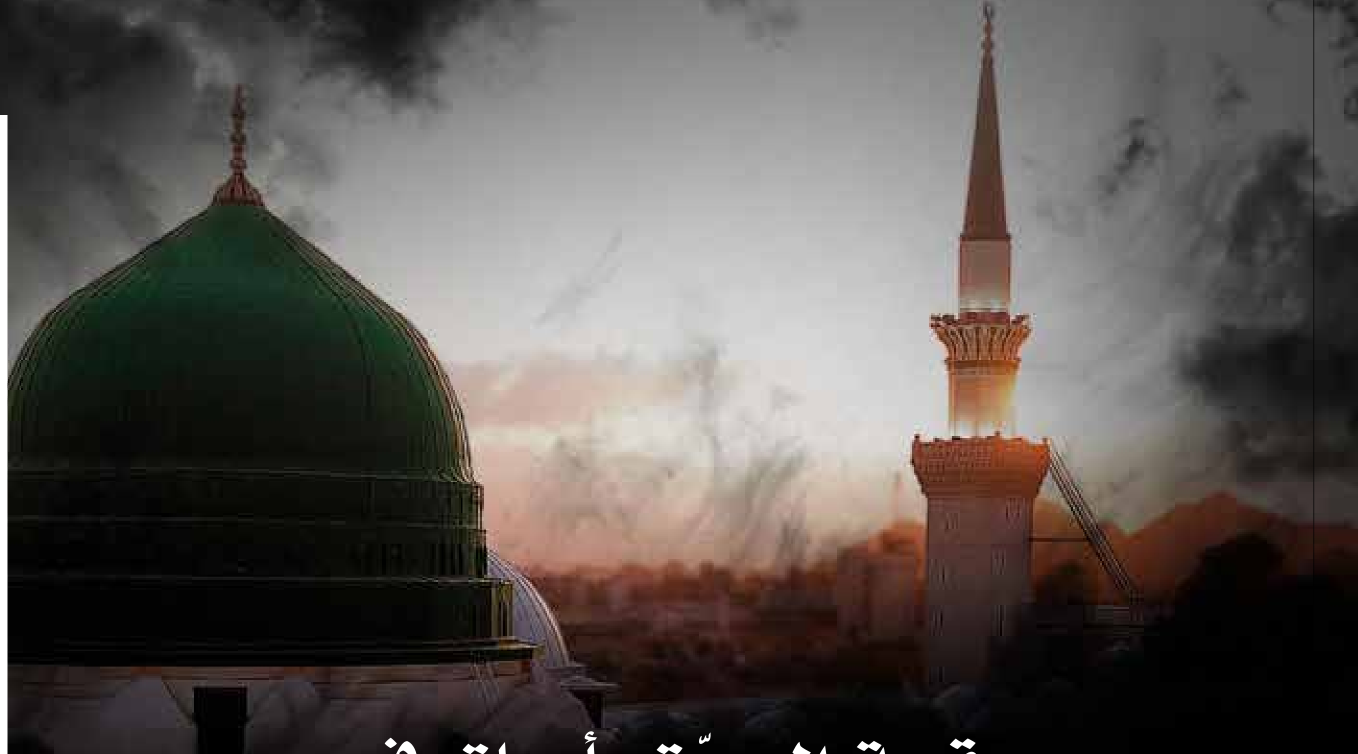
١٤- أحمد بن محمّد مسكويه، تجارب الأمم، ج ٢، ص ٧٠.

١٥- أبو مخنف، مقتل الحسين، ص ١٢١/ الشيخ المفيد، الإرشاد، ج ٢، ص ٩٩.

١٦- محمّد سرور مولائيّ، سيّد الشهداء، برواية الطبريّ وإنشاء البلعميّ، ص ١٣.

١٧- الطبريّ، تاريخ الأمم والملوك، ج ٤، ص ٢٩٥.

*** بقلم محمد فاضل محمد**



وقعة الحرّة مأساة في حرم الرسول صلى الله عليه واله وسلم

قدم رسول الله صلى الله عليه واله وسلم إلى المدينة مهاجراً في الثاني عشر من شهر ربيع الأول مع زوال الشمس، ونزل بـ(قبا) وقال صلى الله عليه واله وسلم: «اللهم حبّب إلينا المدينة كما حبّبت إلينا مكة وأشدّ وبارك في ضياعها ومدها». (وسائل الشيعة للعاملي: ١٤/ ٣٤٨)

وروي عن علي عليه السلام في خطبة له قال: «قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم: المدينة حرم ما بين عير إلى ثور فمن أحدث فيه حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً». (بحار الأنوار: ٩٦/ ٣٧٨)

الحرّة

الحرّة: بفتح الحاء وتشديد الراء بمعنى الأرض ذات الحجارة السود النخرات كأنّها أحرقت بالنار، والحرة من الأراضي الصلبة الغليظة التي ألبستها حجارة سود نخرة كأنها مطرت والجمع حرّات وحرار. (لسان العرب: ٣/ ١١٦)

وتسمية وقعة الحرة تعود إلى المجزرة التاريخية التي ارتكبها يزيد بن معاوية في تلك البقعة من المدينة المنورة، حيث إنها تقع بظاهر المدينة، وقد جرت أحداث هذه الواقعة في ذي الحجة من سنة ثلاث وستين. (لسان العرب: ١١٧)

أسباب حدوث المجزرة

يعود أسباب وقوع المجزرة إلى عوامل عدة أبرزها:

أولاً: عندما ولّى يزيد عثمان بن أبي سفيان المدينة، فأتاه ابن مينا، عامل صوافي معاوية، فأعلمه أنّه أراد حمل ما كان يحمله في كلّ سنة من تلك الصوافي من الحنطة والتمر، وأنّ أهل المدينة منعوه من ذلك، فأرسل عثمان إلى جماعة منهم، فكلّمهم بكلام غليظ، فوثبوا به وبمن كان معه في المدينة من بني أمية وأخرجوهم من المدينة واتّبعوهم يرجمونهم بالحجارة. (تاريخ: ٢/ ١٦٤)

واعتبر ذلك عصياناً وتمرداً من أهل المدينة على حكم يزيد ولا بدّ له من عقاب.

ثانياً: انتشر في المدينة أن يزيد بن معاوية يشرب الخمر ويترك الصلاة وذلك بعد زيارة قام بها أشراف المدينة إلى دار الخلافة في الشام، وعاينوا عبث وفساد يزيد عن قرب، عندها اجتمعوا على خلعه، وبايعوا عبد الله بن حنظلة الغسيل على الموت. (البداية والنهاية: ٨/ ٢٣٦)

ثالثاً: إن ابن جرير الطبري في تاريخه لم يذكر أسباباً للواقعة واكتفى ببيان إخراج أهل المدينة لوالي يزيد عليها ثم ذكر ما هو قريب من كتاب تجارب الأمم.

وقد نقل بالنص الرسالة من الحاضرين إلى يزيد حيث جاء فيها: (أما بعد فقد حُصرنا في دار مروان بن الحكم ومَنَعَنا العذاب ورُمينا بالحبوب فيا غوثاه يا غوثاه. وقال حبيب بن كرة فأخذت الكتاب ومضيت به حتى قدمت على يزيد وهو جالس على كرسي واضع قدميه في ماء طست من وجع كان يجده فيهما ويقال كان به النقرس، فقرأه). (تاريخ الطبري: ٤/ ٣٧٠)

حقائق المجزرة

ما ذكر ربما هو ذرائع لما أراد أن يقوم به يزيد من عمل ضد المدينة المنورة.

وأما السبب الرئيس فإنّه أبعد من ذلك بكثير إذ إنّه لطالما لم يعتقد بنبوة النبي محمد صلى الله عليه واله وسلم كأبيه وجده.

والذي يؤمن به أنه الملك الذي لعبت به بنو هاشم فلا قرآن ولا وحي نزل، مضافاً إلى أنه يريد أن يثأر لأشياخه الذين قتلهم النبي صلى الله عليه واله وسلم في معركة بدر، وقد حان الوقت ليستفرغ سم حقده بعد القضاء على الحامي والوالي في كربلاء، وقد ظهر ذلك على فلتات لسانه ولسان أبيه حينما كانا يعبّران دوماً عن المدينة بالخبيثة والنتنة مقابل تسميتها من قبل الرسول صلى الله عليه واله وسلم بالطيبة. (تاريخ الطبري: ٤/ ٦٣)

فالحرب ظاهراً ضد أهل المدينة وأما باطناً فكانت ضد النبي والنبوة.

مسلم بن عقبة لعنه الله

جهَّز مسلم بن عقبة جيشاً كبيراً وإن اختلف في عدده، ففي تاريخ اليعقوبي كان قوامه خمسة آلاف رجل. (تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٦٥)

وفي تجارب الأمم قال: فانتدب له إثنا عشر ألف رجل. (تجارب الأمم: ٢/ ٧٧)

ووافقه الطبري في تاريخه. (تاريخ الطبري: ٤/ ٣٧١)

وإنّهم وإن اختلفوا في عدد الجيش وقوامه إلا أنهم قد اتفقت كلمتهم على أن قائد الجيش هو مسلم مسرف بن عقبة.

ومسلم بن عقبة المرّي قد أطلق عليه لقب مسرف ومجرم بن عقبة نتيجة ما حصل في وقعة الحرة. (تجارب الأمم: ٢/ ٧٧)

وكان شيخاً كبيراً مريضاً، وقد تم انتدابه تنفيذاً لوصية معاوية لابنه يزيد حيث وصاه بقوله: (إذا أرابك من أهل المدينة ريب، فارمهم بمسلم بن عقبة). (تاريخ الطبري: ٤/ ٣٧٢)

وزاد ابن تيميّة قوله: (أو انتقض عليك منهم أحد، فعليك بأعور بني مسرّة، فاستشره)، يعني مسلم بن عقبة، فلما كانت تلك الليلة قال يزيد: (أين مسلم بن عقبة؟ فقام فقال: ها أنا ذا. قال: هيئ ثلاثين ألفاً من الخيل. (الإمامة والسياسة: ٢/ ١٤)

وقد وصاه إذا ظفر بهم أن ينهب المدينة ثلاثة أيام، وقال له: (إن حدث بك حدث فاستخلف على الجيش الحصين بن نمير السكوني). (تجارب الأمم: ٢/ ٧٧)

وقبل خروجه إلى المدينة مرض مسلم فأدنف حتى دخل عليه يزيد يعوده، قال له: (قد كنت وجَّهتك لهذا البعث وكان معاوية أوصاني فيك وأراك مدنفاً ليس فيك سفر، فقال: يا أمير المؤمنين أنشدك الله أن لا تحرمني أجراً ساقه الله إليّ، إنَّما أنا امرؤ ليس بي بأس، قال: فلم يطق من الوجع أن يركب بعيراً ولا دابة، فوضع على سرير وحمله الرجال على أعناقهم وساروا به حتى حاجزة فنزلوا بها، فأرسل إلى أهل المدينة يوعظهم ويعدهم بإرجاع العطاءات التي أخذها عمرو بن سعيد منهم واشترى بها عبيداً لنفسه، فأجابوه: نخلع يزيد كما نخلع عمائمنا ونخلع نعالنا). (الإمامة والسياسة: ٢/ ١٣)

التخطيط للمجزرة

التقى مسلم بعبد الملك بن مروان واستخبر منه حال الناس وقال له: (كيف ترى؟ قال له عبد الملك: أرى أن تسير بمن معك، فتركب هذا الطريق إلى المدينة، حتى إذا انتهيت إلى أدنى نخل بها نزلت فاستظل الناس بظله، وأكلوا من صفوه، حتى إذا كان

الليـل، أذكيت الحرسـ الليل كله، حتـى إذا أصبحت وصليت الصبح مضيت بهم، وتركت المدينة ذات اليسار ثم أدرت المدينة حتى تأتيهم من قبل الحرة مشـرقاً، ثم تسـتقبل القوم، فإذا اسـتقبلتهم أشرقت الشمس عليهم وطلعت من أكتـاف أصحابك، فلا تؤذيهم وتقع في وجوههـم فتؤذيهـم ويـرون ما دمتم مشـرقين لم يتلاق بيضكم وحرابكم وألسـنة رماحكم وسـيوفكم ودروعكـم، وسـواعدكم مـا لا ترونه أنتم لشـيء من سـلاحهم ما داموا مغّربـين، ثم قاتلهم واسـتعن الله عليهم، فقـال له مسـلم: لله أبوك، أي امـرئ ولد إذ ولدك؟ لقد رأى بك خلفـا). (تجارب الأمم: ٢/ ٧٧)

وقـد عمـل بـرأي عبـد الملـك، وعندما بلـغ أهل المدينة مجيء مسـلم بن عقبة وثبوا على دار مروان وحصروهـم وقالـوا والله لا نكشـف عنكـم حتـى نسـتنزلكم ونضـرب أعناقكـم أو تعطونـا عهد الله وميثاقه لا تبغونا غائلة ولا تدلوا لنا على عورة ولا تظاهروا علينـا عدواً فنكف عنكـم ونخرجكم عنا، فأعطوهم عهد الله وميثاقه على ذلكم، فأخرجوهم من المدينة بأثقالهم حتى لقوا مسلماً. (الطبري: ٤/ ٣٧٤)

مسلم في الحرة

لما وصل جيشـ يزيد بقيادة مسـلم بـن عقبة إلى الحرة قال: (يا أهل المدينة إن أمير المؤمنين يزيد بن معاوية يزعـم أنكم الأصل وإني أكـره إراقة دمائكم وإني أؤجلكـم ثلاثـاً فمن ارعوى وراجـع الحق قبلنا منه وانصرفت عنكم، وإن أبيتم كنا قد أعذرنا إليكم، ولما مضت الثلاثة أيـام قال: يا أهل المدينة قد مضت الأيـام الثلاثة فمـا تصنعون أتسـالمون أم تحاربون؟ فقالوا: بل نحارب؛ واتخذوا خندقاً في جانب المدينة ونزله جمـع منهم عظيـم وعلى رأسـهم عبد الله بن حنظلـة الغسـيل الأنصـاري، ثـم دارت المعركة بين مسلم وأهل المدينة واقتتلوا أشد القتال ثم انهزم أهل المدينة وسيطر مسـلم عليها). (الطبري: ٤/ ٣٧٧)

حصيلة ما جرى

أوّلاً: القتل والسلب

أباح مسـلم المدينـة لجيشـه ثلاثة أيـام يقتلون النـاس ويأخـذون أموالهم. (الطـبري: ٤/ ٣٧٧)

ونقـل عن ابن قتيبة أنه بلغ عـدد قتلى الحرة من المهاجرين والأنصـار والوجهاء ألفاً وسـبع مئة ومن سـائر الناس عشـرة آلاف سـوى الصبيان والنساء. (الإمامة والسياسـة: ١/ ١٨٤)

ثانياً: استباحة النساء

نقـل في الإمامة والسياسـة عـن معجـم البلدان، أنه قد اسـتبيحت الفـروج وحملت منهـم ثمان مئة حرة وولدن وكان يقال لأولئك الأولاد أولاد الحرة. (معجـم البلدان: ٢/ ٢٤٩)

وبعـد مضي الثلاثة انتقـل مسـلم إلى قصر بني عامـر بـ(دومـة) فدعا أهـل المدينة من بقـي منهم للبيعـة ولكن بأسـلوب جديـد وبدعة جديـدة، أي البيعـة علـى أنهم خول وأرقـاء وعبيـد ليزيد وإلا فليسـ أمامهـم إلا القتل.

موت مسلم

بعـد أن فـرغ هـذا المجـرم مـن اسـتباحة المدينة وهتـك حرمها، قرر التوجـه إلى مكة لقتال عبد الله ابن الزبير بعد أن اسـتخلف علـى المدينة المجروحة روح بـن زنباع، فلمـا كان في بعض الطريـق هلك وكان ذلك آخر المحرم سـنة أربع وسـتين.

وبنـاء على ما ذكـر من أنه دخـل المدينة في آخر ذي الحجـة فيعنـي ذلك أنـه بين مـا اقترفت يداه وموته أقل من شـهر.

ولم تمضـ فـترة قليلة حتـى قتل يزيـد في العام نفسه أيضاً، وهذا جزاء من يهتك حرم الله ورسوله، وذكـر اليعقوبي أنه لما بلـغ بثَنْيه عقبة (المشـلّل) احتضر واسـتخلف على الجيشـ الحصين وقال حين الاحتضـار: (اللهم إن عذبتني بعد طاعتي لخليفتك يزيد بن معاوية وقتل أهل الحرة فإني إذاً لشـقي). (الغارات: ٢٢/ ١٥)

ثـم خرجـت نفسـه ودفن فيهـا، وجـاءت أم ولد يزيـد بن عبد الله بـن زمعة فنبشـته وصلبته على المشـلل وجاء النـاس فرجمـوه وبلغ ذلـك الحصين ابـن نمـير فرجـع فدفنـه وقتـل جماعة مـن أهل ذلـك الموضـع وقيل لم يـدع منهـم أحـداً. (تاريخ اليعقوبـي: ٢/ ١٨٠)



الشيعة في الاندلس

ربما يظن البعض جهلاً أو تجهيلاً أَنَّ القائد الأموي عبد الرحمن بن معاوية الأموي (ت ١٧٢ هـ) الشهير بالداخل، هو من فتح الأندلس من أيدي النصارى، وبه يبدأ عصر الإسلام في الأندلس بتأسيس الدولة الأموية في المغرب الإسلامي في العام ١٣٨ هـ، بعد أنْ سقطت في المشرق الإسلامي في العام ١٣٢ هـ، ولكن الصحيح أن الإسلام دخل الأندلس نهاية القرن الأول الهجري وخضعت إدارياً خلال ٤٥ عاماً لـ(٢٢) والياً، ثم تولاها فيما بعد عبد الرحمن الداخل.

الحسين في الأندلس:

يتربع الإمام الحسين عليه السلام على قلب كل مسلم، بل وكل حر من أحرار البشرية ناهيك عن جنسه ومعتقده، ولذلك كثرت الرايات التي ترفع الإمام الحسين عليه السلام شعاراً في حركتها التحررية أو الثورية أو التصحيحية، سلمية كانت أو مسلحة، بغض النظر عن النوايا والأهداف المضمرة، ولم تكن الأندلس ببعيدة عن هذه الرايات، ولذلك فإنَّ الدكتور كاظم شمهود طاهر يؤيد رأي المحقق الكرباسي أن الإسلام دخل الأندلس ودخل معه التشيع والولاء لأهل البيت (ع) من طرق عدة، أهمها عبر الجيش الإسلامي الفاتح، الذي كان فيه: "عدد كبير من العوائل العربية التي تدين بنصرة أهل البيت، وكان معظمها من العراق واليمن"، منهم القائد حسين بن عبد الله بن حنظلة الصنعاني المشهور بحنش الصنعاني (ت ١٠٠ هـ)، والقائد عبد الله بن سعد بن عمار بن ياسر (ت ١٤٣ هـ)، والقائد الحسين بن يحيى الخزرجي (كان حياً عام ١٦٥ هـ)، فضلاً عن أن موسى بن نصير كان من الموالين لأهل البيت (ع)، وكان هذا الولاء أحد أسباب خلعه في العام ٩٦ هـ من قبل سليمان بن عبد الملك الأموي (ت ٩٩ هـ)، ثم اعتقاله والتنكيل به وتعذيبه وتجريده من كل ممتلكاته المنقولة وغير المنقولة.

ويرى المعد أن قبائل البربر في شمال أفريقيا والأندلس كانت محلاً خصباً للتشيع، بخاصة وأنَّ بعض القبائل العربية وبخاصة السلطات الأموية مارست معها العصبية القبلية والقومية مما دفعها الى المعارضة والثورة على الواقع السيئ، ولذلك: "تردد لأول مرة صدى التشيع في الأندلس بين صفوف البربر، وكانت المناطق البربرية ميدانا لجميع الثورات الشيعية في الأندلس، يمدها ذلك الطوفان الهائل للتشيع الذي شمل جميع شمال أفريقيا

خاصـة بعـد تأسيس أول دول علوية في المغرب الإسـلامي وهي دولة الأدارسـة سـنة ١٧٣ هـ، وقد اعتنق التشيع قبائل بربريـة كبـيرة معروفـة كان لها امتـداد واسـع في المغرب والأندلس، منها بنو حماد وبنو زيـري وقبيلة الصنهاجيين وقبائل كتامة".

وبتقدير المؤلف فإنَّ الإسـلام الشـيعي دخل الى الأندلس من طريقين:

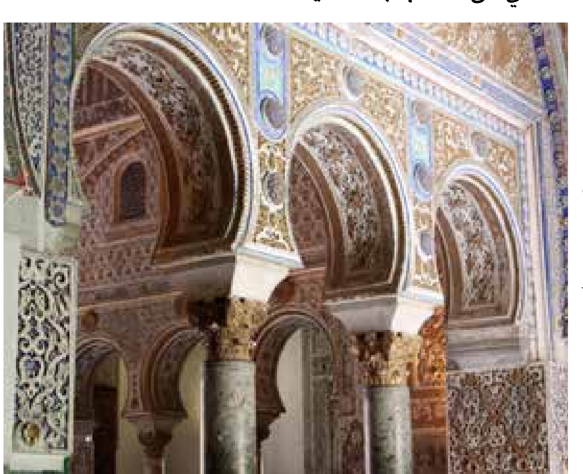
الأول: عـبر الأندلسـيين الذيـن رحلـوا الى المشـرق الإسـلامي وبالأخص الى العـراق ومصـر والمغـرب ثـم عـادوا متأثرين بثقافة أهل البيت عليهم السـلام، وكان في مقدمتهـم محمـد بن عيسـى القرطبـي الـذي كان حياً في العـام ٢٢١ هـ.

الثـاني: عبر عدد مـن علماء المشـرق الإسلامي الذين باشـروا بنشـر ثقافة أهل البيت عليهم السلام، ومنهم أبو اليسـر الرياضـي إبراهيـم بـن محمد الشـيباني (ت ٣١٧ هـ)، البغـدادي النشـأة والـذي تجـول وعمـل في المغـرب الإسـلامي والأندلس.

وكان للقمع الذي مورس بحق أهل البيت عليهم السـلام والموالين لهم في المشـرق الإسـلامي من الأسـباب الداعية الى هجرة رجالات الإسلام الى المغرب الإسـلامي ومنه الى الأندلـس، ومنهم نسـل الإمـام الحسـن بـن علـي عليهما السـلام (ت٥٠هـ)، وحسـب تعبـير الدكتـور طاهـر: "تمركـز هـؤلاء العلويـون في شـمال أفريقيا ثـم عبروا الى شـبه جزيرة أيبريـا، وكان لهم دور كبير ومهـم في نشـر الثقافـة الشـيعية في الأندلـس"، كمـا كان لهجرة أبناء الصحابي الجليل عمار بن ياسـر (ت ٣٧ هـ)، وأحفاد الصحابي الجليل مالك بن الحارث النخعي الأشتر (ت ٣٩ هـ) الى الأندلـس دور كبير في نشر الإسلام في هذه البـلاد، وحسـب تعبير المحقـق الكرباسـي: "إنَّ المهاجرين أو الداخلـين الى الأندلس من الشـيعة كانوا مـن البيوتات التـي تعتبر في حينها أعمدة وأسـاطين التشـيع، وهذا يعني أنهـم وجـدوا لأنفسـهم في الأندلـس أرضية مناسـبة رغم وجـود الحكم الأمـوي هناك".

وعلـى الرغـم مـن الصراعـات بـين الإمـارات وظهـور ثـورات بالضـد مـن الحكـم الأمـوي وقمعها، حتـى عدها البعـض بنحـو ١٤ ثـورة، مثـل ثورة شـقيا بن عبـد الواحد المكناسـي (ت ١٦٠ هـ)، فـإن الكرباسـي يؤكـد: "رغـم كل الصراعات فإنَّ التشـيع سـرى في تلك البلاد حتى شاع وظهـر بحيـث أصبحـت القضية الحسـينية والتـي هي من أقوى ظواهر التشـيع فاشـية في الأندلـس، وقد برز شعراء عدة وهم يرثون الإمام أبا عبد الله الحسين (ع) كما جرت الطقوس والشـعائر الحسـينية في عاشـوراء، وظلـت حتى نهايـة الحكم الإسـلامي في الأندلـس عـام ٨٩٨ هـ".

ومـع نهايـة القـرن العشـرين وبدايـة القـرن الحـالي، تعـززت مدرسـة أهـل البيت في إسـبانيا من خـلال هجرة الباكسـتانيين واللبنانيين للعمل في إسـبانيا كما ساعد قيام الجمهوريـة الإسـلامية في إيران في العـام ١٩٧٩م وهجرة العراقيـين في عهـد نظـام صـدام (ت ٢٠٠٦ م) الى زيادة المشـاريع الحسـينية، وتؤشـر الأرقـام أن: "أول حسـينية تأسسـت في إسـبانيا مـن التاريخ الإسـلامي الحديث هـي حسـينية الأمـة في مدينـة غرناطـة وكان مـن وراء تأسيسـها مجموعـة مـن الطـلاب الإيرانيـين واللبنانيـين الذيـن كانـوا يدرسـون في جامعـة غرناطـة، وكانـت تعـرف هذه الجاليـة بالأمة فأطلق الاسـم على الحسينية أيضا وتاريخهـا يعود الى سـنة ١٤٠٦ هـ- ١٩٨٦م"، على أنَّ أول مسـجد لشـيعة أهل البيت (ع) في العصر الحديث أقيم في العام ١٣٧٦ هـ باسم مسجد أهل البيت في برشلونة، كما ان محبـي أهل البيت (ع) تمكنوا ولأول مرة في تاريخ إسـبانيا الحديثة في يوم العاشـر من شهر محرم العام ١٤٢٦ هـ من تنظيـم مسـيرة حسـينية حاشـدة في مدينـة برشـلونة.



وجـاء في مقـال نشـرته مجلة الهـادي الصـادرة في قم بإيران باللغة العربية في عددها الثاني لسنتها الأولى المؤرخ ذي القعدة ١٣٩١ هـ بقلم الدكتور عبد اللطيف السـعداني ، بفاسـ « المغرب » تحت عنوان : « حركات التشيع في المغرب ومظاهـره » مشـيراً الى أثـر التشـيع في الأندلس ، وإقامة المأتم على الامام الحسـين الشهيد عليه السلام فيما نصه :

« ومـن حسـن حظّنا هذه المـرة أن أحد أعـلام المفكرين في القـرن الثامـن الهجري ، لسـان الدين ابـن الخطيب ، أسـعفنا بإشـارة ذات أهمية كـبرى ، والفضل في ذلك يعود الى إحدى النسـخ الخطيـة الفريدة من مؤلفـه التاريخي « أعـلام الأعلام فيمن بويـع بالخلافة قبل الاحتـلام » التي حفظتهـا لنـا خزانة جامعـة القرويين بمدينة « فاسـ » من عاديات الزمن .

وبهذه الإشـارة تنحل العقدة المسـتعصية ، وينكشـف لنا مـا كان غامضاً من قبل ، مما أغفل الحديث عنه المؤرخون ممـا كان يجـري في الأندلسـ مـن أثـر التشـيع ، ذلك أن ابـن الخطيب عند حديثـه عن دولة يزيد بـن معاوية انتقل بـه الحديث الى ذكر عـادات الأندلسـيين خاصة في ذكرى مقتل سـيدنا الحسـين من التمثيل بإقامة الجنائز ، وإنشاد المراثي ، وقـد أفادنا عظيم الفائدة حيث وصف إحدى هذه المراسـيم وصفـاً حياً شـيقاً ، حتـى ليخيل أننا نـرى إحياء هـذه الذكـرى في بلد شـيعي ، وذكر أن هذه المراثي تسـمى الحسـينية ، وأن المحفظـة عليهـا بقيت من قبـل تاريخ ابن الخطيـب الى أيامـه ونبادر الآن الى نقل هـذا الوصف على لسان صاحبه :

« ولم يـزل الحزن متصلاً على الحسـين ، والمـآتم قائمة في البـلاد ، يجتمع لها النـاسـ ويحتفلون لذلك ليلة يوم قتل فيـه ، بعـد الأمـان من نكـير دول قتلته ، ولا سـيما بشـرق الأندلسـ . فكانوا على ما حدثنا به شيوخنا من أهل المشرق . يعني مشـرق الأندلس . يقيمون رسم الجنازة حتى في شكل من الثياب ، يسـتجنى خلف سترة في بعض البيت ، ويحتفل بالأطعمـة ، ويجلـب القـراء المحسـنون ، ويوقـد البخـور ، ويتغنى بالمراثي الحسـنة » .

وفي عهـد ابـن الخطيب كان مـا يزال لهذه المراثي شـأن أيضاً ؛ فإنه في سـياق حديثه السـابق زادنـا تفصيلاً وبياناً عن الحسـينية وطقوسها ، فقال :

« والحسـينية التـي يسـتعملها الى اليـوم المسـمعون ، فيلـوون لهـا العمائـم الملونة ، ويبدلـون الأثـواب ، كأنهم يشـقون الأعلى عن الأسـفل بقيـة من هـذا لم تنقطع بعد ، وإن ضعفـت . ومهمـا قيـل الحسـينية أو الصفـة لم يدر اليـوم أصلها .

وفي المغـرب اليـوم مـا لا يـزال أولئـك المسـمعون الذين أشـار اليهم ابن الخطيب يعرفون بهذا الاسـم ، وينشـدون ، وكثرت في إنشـادهم على الأخص المدائح النبوية ، كما أن الأغنية الأندلسـية الشـائعة اليوم في بلاد المغرب تشتمل في أكثرها على المدائح النبوية أيضاً » انتهى كلام السـعداني .

أقـول : ويظهر مـن هذا الوصـف أن النياحة علـى الإمام الحسين عليه السلام وإقامة شعائر الحزن والأسى عليه ، قد تداوله المسـلمون في الأندلسـ منذ أن وطئت أقدام المسلمين أرض الأندلسـ وبقيت هذه التقاليد في هذه البلاد الإسلامية النائيـة حتى القـرن الثامن الهجري . كما يسـتبان من كلام ابن الخطيب – ويسـتنتج من اسـتعمال كلمة الحسينية التي اسـتعملها المسـلمون هناك لإقامة العزاء الحسـيني وإنشاد المراثي فيها أنه كان للشـيعة شـأن يذكر في الأندلس.

هـذا وقـد نشـرت المجلـة السـالفة الذكـر في عددهـا الثالـث لسـنتها الأولى المـؤرخ صفـر ١٣٩٢ هــ تتمة مقال الأسـتاذ السـعداني، الـذي نقـل فيـه بعض المراثـي على الإمـام الشـهيدعليه السـلام، تلـك المراثي التـي إن دلت على شـيء فإنما تدل على تغلغل المذهب الشـيعي في بعض طبقات الشـعب في الأندلسـ والمغرب العربي، وعلى شـدة تعلقهم بالحسين الشـهيدعليه السلام، وقيامهم بمراسيم النـوح عليه في ذكـراه الأليمة .

وانتقلت الثقافة الشيعية إلى الأندلس بعدة طرق منها :-

أولاً:- دخـول بعـض البيـوت العربيـة إلى الأندلسـ والتـي كانـت تدين بنصـرة آل علي مـن قبل فظلـت فيها هـذه النزعـة متوارثـة والملفت للنظـر بـأن الداخلين إلى الأندلسـ من الشيعة كانوا من البيوتات التي تعد في حينها أعمدة وأسـاطين التشيع في المشرق وأن دل هذا على شيء فإنما يـدل علـى اعتقادهم بـأن هنـاك أرضية مناسـبة

على الرغم من وجود الحكم الأموي بقرطبة ومن أشهر الداخلين إلى الأندلس هو هشام بن الحسين بن إبراهيم ابن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) سادس أئمة أهل البيت (عليهم السلام) الذي نزل مدينة لبلة وتعرف منازلهم فيها منازل الهاشمي ويمكن أن نتساءل ما هي الأسباب التي دفعت هذه الشخصية العلوية أن يترك وطنه ويتوجه نحو الأندلس؟.

عند استقراء النصوص التاريخية لابد وأن تكون الأوضاع السياسية في المشرق غير مؤاتية لبقاء أهل البيت والعلويين فيها خاصة وأن العباسيين اضطهدوا الأمويين والعلويين على حد سواء كذلك أدرك هاشم أن أوضاع الأندلس مناسبة لاستقراره فيها كذلك دخل الأندلس أبناء وأحفاد مالك الأشتر، أبناء عمار بن ياسر، أبناء وأحفاد قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري الذي كان والياً للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) على مصر وغيرهم.



وكان لدخول هذه العوائل أكبر الأثر في اتساع دائرة التشيع وانتشاره في الأندلس.

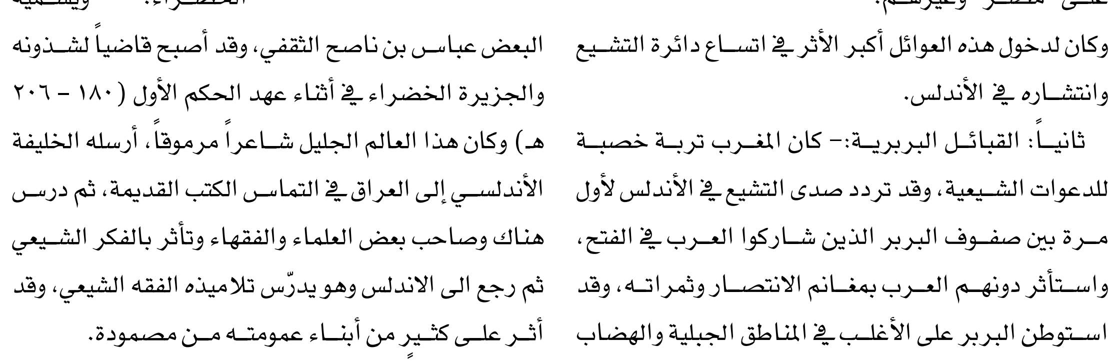
ثانياً: القبائل البربرية:- كان المغرب تربة خصبة للدعوات الشيعية، وقد تردد صدى التشيع في الأندلس لأول مرة بين صفوف البربر الذين شاركوا العرب في الفتح، واستأثر دونهم العرب بمغانم الانتصار وثمراته، وقد استوطن البربر على الأغلب في المناطق الجبلية والهضاب المرتفعة لاسيما الممتدة في وسط شبه الجزيرة، وهي التي كانت تعرف "الجوف" وكذلك المناطق الجبلية في جنوب شرق الأندلس في كورة البيرة، في حين نزل العرب في الوديان الخصبة والسهول، وقد كانت المناطق البربرية ميداناً لجميع الثورات الشيعية التي عرفتها الأندلس. ومن أشهر القبائل البربرية (المغاربية) والتي تشيعت هي كتامة، نفزه، صنهاجه وغيرها. وكان لظهور دولة الأدارسة (١٧٢هـ/٧٨٩م) والدولة الفاطمية بالمغرب (٢٩٦هـ/٩٠٩م) الأثر الكبير في نقل الثقافة الشيعية إلى الأندلس حيث سيتم التحدث عن دورهما في هذا البحث.

تشيع البربر

ينقسم البربر حسب النسابة - نقلاً عن الدكتور السيد عبد العزيز سالم- الى قسمين رئيسيين هما البرانس والبتر، فالأول ينتمي إلى برنس بن بر فسمّوا البرانس، والثاني ينتمي إلى مادغيس بن بر الملقب بالأبتر فسمّوا البتر.

وينقسم البرانس الى سبعة قبائل وأكبر قبائلها هي صنهاجة وهي أكبر قبائل البربر التي تشيعت وساندت الدولة الفاطمية ومنهم من كوّن إمارة شيعية في غرناطة في عصر الطوائف.

وأحد أهم علماء البربر الشيعة في الأندلس هو عباس بن ناصح المصمودي الذي ينتسب الى قبيلة مصمودة التي استوطنت الجزيرة الخضراء. ويسميه البعض عباس بن ناصح الثقفي، وقد أصبح قاضياً لشذونه والجزيرة الخضراء في أثناء عهد الحكم الأول (١٨٠ - ٢٠٦ هـ) وكان هذا العالم الجليل شاعراً مرموقاً، أرسله الخليفة الأندلسي إلى العراق في التماس الكتب القديمة، ثم درس هناك وصاحب بعض العلماء والفقهاء وتأثر بالفكر الشيعي ثم رجع الى الاندلس وهو يدرّس تلاميذه الفقه الشيعي، وقد أثر على كثير من أبناء عمومته من مصمودة.



وفي عصر الملوك والطوائف في الأندلس اجتمع زعماء قبائل البربر والعرب في باب السدة في قصر قرطبة وبايعوا علي بن حمود بالخلافة، في ٢٣ محرم سنة ٤٠٧هـ وتلقب بالناصر لدين الله، وبذلك تم تأسيس أول دولة شيعية علوية في الأندلس يخطب باسمها على منابر الأندلس وقد سيطرت على معظم البلاد وبايعتها غالبية الفرقاء من العرب والبربر. وكان الحموديون يعودون في نسبهم إلى السيد إدريس بن الحسن مؤسس دولة الأدارسة في المغرب.





مراتـــب النفـس فـــي القــران الكـــريم

القرآن الكريم جعل للنفس الإنسـانية مراتب وهي بشكل مختصر كالتالي:

١. النفس الأمّارة.

٢. النفس اللوّامة.

٣. النفس المطمئنة.

٤. النفس الراضية المرضية.

١. النفس الأمّارة

إنّ النفس بطبعها تدعو إلى مشتهياتها من السيئات، فليس للإنسان أن يبرّئ نفسه من الميل إلى السوء، وإنّما له أن يكف عن أمرها بالسوء ودعوتها إلى الشر وذلك برحمة من الله سبحانه، يقول عزّ وجل: ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾. (يوسف/٥٣)

فما برّأ يوسف نفسه عن أمرها بالسوء، وإنّما كفّها عن ارتكاب السوء؛ لأنّ النفس طبعت على حب الشهوات التي تدور عليها رحى الحياة.

والأخلاق جاءت لتعديل ذلك الميل، وجعلها في مسير السعادة وحفظها عن الإفراط والتفريط، فالمادية نادت بالانصياع لرغبات اللّذات مهما أمكن، والرهبانية نادت بكبح جماح اللذات والشهوات والعزوف عن الحياة واللوذ في الكهوف والأديرة، ولكن الإسلام راح يدعو إلى منهج وسط بينهما، ففي الوقت الذي يدعو إلى أكل الطيّبات ويندّد بمن يحرّمها، ويقول: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ (الأعراف/٣٢) يأمر بكبح جماح النفس عن ارتكاب المعاصي والسيئات التي توجب الفوضى في المجتمع وتسوقه إلى الانحلال الأخلاقي.

٢. النفس اللوّامة

النفس اللوامة وهي الضمير الذي يؤنّب الإنسان على ما اقترفه من السيئات والآثام خصوصاً بعد ما يفيق من سكراتها فيجد نفسه تنحدر في دوامة الندم على ما ارتكبه وإنابة إلى الحقّ، وهذا يدل على أنّ النفس ممزوجة بالميل إلى الشهوات، وفي الوقت نفسه فيها ميل إلى الحقّ والعدل، ولكلّ تجلّ خاص، فإنّ غلبة الشهوات يحول دون ظهور نور العقل فيقترف المعاصي والآثام، ولكنّه ما إن تخمد شهوته حينها يصفو أمامه جمال الحياة وتتكشف مضرات اللّذة فتستيقظ النفس اللوامة وتأخذ باللوم والعذل إلى حد ربما تدفع بصاحبها إلى الانتحار؛ لعدم تحمله وطأة تلك الجريمة وهذه النفس حيّة يقظة لا تتصدع بكثرة الذنوب وإن كانت تضعف بممارستها.

٣. النفس المطمئنّة

وهي النفس التي توصلها النفس اللوّامة إلى حد لا تعصف بها عواصف الشهوة، وتطمئن برحمة الرب وتحس بالمسؤولية الموضوعة على عاتقها أمام الله وأمام المجتمع، يقول سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ (الفجر/٢٧-٢٨) فصاحب هذه النفس يمتلئ بالسرور والفرح عند الطاعة وتجد في صميمها لذة للطاعة وحلاوة للعبادة لا يمكن وصفها بالقلم واللسان.

وبعبارة أُخرى: (النفس المطمئنّة) هي التي تسكن إلى ربها وترضى بما رضي به، فترى نفسها عبداً لا يملك لنفسه شيئاً من خير أو شر أو نفع أو ضر، ويرى الدنيا دار مجاز، وما يستقبله فيها من غنى أو فقر أو أي نفع وضر ابتلاء وامتحاناً إلهياً، فلا يدعوه تواتر النعم عليه إلى الطغيان، وإكثار الفساد، والعلو والاستكبار، ولا يوقعه الفقر والفقدان في الكفر وترك الشكر؛ بل هو في مستقر من العبودية لا ينحرف عن مستقيم صراطه بإفراط أو تفريط. (تفسير الميزان: ٢٠/ ٢٧٨)

وهناك كلمة قيمة للحكيم (محمد مهدي النراقي) حول واقع النفوس الثلاث يقول: (والحقّ إنّها أوصاف ثلاثة للنفس بحسب اختلاف أحوالها، فإذا غلبت قوتها العاقلة على الثلاثة الأخر، وصارت منقادة لها مقهورة منها، وزال اضطرابها الحاصل من مدافعتها سمّيت (مطمئنة)؛ لسكونها حينئذٍ تحت الأوامر والنواهي، وميلها إلى ملائماتها التي تقتضي جبلتها، وإذا لم تتم غلبتها وكان بينها تنازع وتدافع، وكلما صارت مغلوبة عنها بارتكاب المعاصي حصلت للنفس لوم وندامة سمّيت (لوامة) وإذا صارت مغلوبة منها مذعنة لها من دون دفاع سميت (أمّارة بالسوء)؛ لأنّه لما اضمحلت قوتها العاقلة وأذعنت للقوى الشيطانية من دون مدافعة، فكأنّما هي الآمرة بالسوء. (جامع السعادات: ١/ ٦٣-٦٤)

٤. النفس الراضية المرضية

وهي النفس المتكاملة الراضية من ربّها رضى الرب منها، واطمئنانها إلى ربّها يستلزم رضاها بما قدّر وقضى تكويناً أو حكم به تشريعاً، فلا تسخطها سانحة ولا تزيغها معصية، وإذا رضى العبد من ربّه، رضى الرب منه، إذ لا يسخطه تعالى إلّا خروج العبد من زي العبودية، فإذا لزم طريق العبودية استوجب ذلك رضى ربّه ولذا عقب قوله: (راضية) بقوله: (مرضية).

قوله تعالى: ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ (الفجر/٢٩-٣٠) تفريع على قوله: (ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ)، وفيه دلالة على أنّ صاحب النفس المطمئنّة في زمرة عباد الله حائز مقام العبودية، وذلك إنّه لما اطمأنّ إلى ربّه انقطع عن دعوى الاستقلال ورضى بما هو الحقّ من ربّه فرأى ذاته وصفاته وأفعاله ملكاً طلقاً لربّه فلم يرد فيما قدر وقضى، ولا فيما أمر ونهى إلّا ما أراده ربّه، وهذا ظهور العبودية التامة في العبد، ففي قوله: (فَادْخُلِي فِي عِبَادِي) تقرير لمقام عبوديتها.

وفي قوله: ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ تعيين لمستقرها، وفي إضافة الجنة إلى ضمير المتكلم تشريف خاص، ولا يوجد في كلامه تعالى إضافة الجنة إلى نفسه تعالى وتقدس إلّا في هذه الآية (تفسير الميزان: ٢٠/ ٢٨٦)، هذا كلّه حول المقسم به.

وأمّا المقسم عليه فهو محذوف معلوم بالقرينة أي (لتبعثنّ) وإنّما حذف للدلالة على تفخيم اليوم وعظمة أمره، قال تعالى: ﴿ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ (الأعراف/١٨٧) وقال: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ (طه/١٥)، وقال: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾ [النبأ/١-٢). (تفسير الميزان: ٢٠/ ١٠٤)

وأمّا وجه الصلة بين المقسم به والمقسم عليه فواضح فإنّ الإنسان إذا بعث يوم القيامة يلوم نفسه لأجل ما اقترف من المعاصي إذ في ذلك الموقف الحرج تتكشف الحجب ويقف الإنسان على ما اقترف من المعاصي والخطايا فيندم على ما صدر منه قال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (يونس/٥٤)، وقال سبحانه: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (سبأ/٣٣)

وبالجملة فيوم القيامة يوم الندم والملامة، ولات حين مناص.

بقلم: الشيخ جعفر السبحاني

إنّ الله يعفــو عــن الذنــوب
أي يمحــو الذنــوب عــن العبد

(العفـو) كلمـة يـدل أصـل معناها علـى المحو الطمـس، يقـال: عفت الريح الأثر إذا محته وطمسـته، وعفا الشـيء أمحـى ولم يبق له أثر، والعفو اصطلاحـاً هو محو الذنوب، وكل مـن اسـتحق عقوبة فتركتـه فقد عفوت عنـه.. ويقال: عفـا الله عنـك، أي محـا الله عنـك، فعفـو الله هـو محوه الذنوب عـن العبد.

وقيـل إن العفـو معنـاه الـترك، فعفـو الله إذاً هـو تركـه العقوبـة علـى الذنـب، وفي الدعـاء المأثـور: (أسـألك العفو والعافيـة) أي أسـألك تـرك العقوبة وتحقيق السـلامة، لأن العافيـة هـي الصحة، وهي أن تسـلم من الأسـقام والبلايا.

والعفـو بضـم الفـاء وتشـديد الـواو هـو الكثـير العفـو، فالكلمة صيغة مبالغة على وزن فعول، وهي اسـم من أسـماء الله عـز وجـل التي تكرر ذكرهـا في القـرآن الكريم.

و(المعافـاة) مفاعلـة مـن العفـو، بـأن يعفو الإنسـان عن النـاس، ويعفو النـاس عنه.

وقيـل هـي أن يعافيك الله مـن النـاس، ويعافيهم منك، أي يغنيـك عنهـم ويغنيهم عنـك، ويصـرف أذاهم عنك، وأذاك عنهم.

وحقيقـة العفو أن يخطئ معك إنسـان، وتكـون قادراً على معاقبتـه ومؤاخذتـه، ولكنـك تعرض وتصفـح، ولذلك قيل: العفو عند المقدرة.

وقيـل: لا يظهر العفـو إلاّ مع الاقتدار. وقيل ما قرن شـيء إلى شـيء أزين من حلم إلى علم، ومن عفو إلى قدرة.

والعفـو خلق من أخـلاق القرآن الكريم التـي كرر ذكرها، ورفـع قدرهـا، ولعل ممـا يزين هذا القـدر الرفيـع للعفو أن القـرآن المجيـد جعله صفة مـن صفات الله عز وجل وأشـار إلى ذلـك في طائفة من الآيات، ففي سـورة البقرة يقول الله تعـالى: ﴿ ...ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾. (البقرة: ٥٢)

وفيهـا أيضـا يقـول ﴿ ...عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ.. ﴾. (البقرة: ١٨٧)

وفي سـورة آل عمـران أيضا يقـول: ﴿ ...ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾. (آل عمـران:١٥٢)

وفيهـا أيضاً: ﴿ ...وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾. (آل عمران:١٥٥)

وفي سـورة الشـورى أيضـاً: ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾. (الشورى: ٣٠)

وفيهـا أيضاً: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ ﴾. (الشـورى:٢٥)

وفيهـا أيضـاً: ﴿ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ ﴾. (الشـورى:٣٤)

وهكـذا نجـد أن كتـاب الله عـز وجـل قـد نسـب صفـة (العفو) إلى رب العزة والجلال أكثر من عشـر مرات، ونرى

أن الله تعالى يعفو وفي الوقت نفسه يهدد بالمؤاخذة من يعود أو يصر، وهو يعفو عن طائفة تستحق العفو، ويعاقب من لا يستحق العفو، وهو يحث على الاتجاه إلى الأسباب التي تجعل الإنسان مستحقاً لعفو ربه.

ونجد أكثر من هذا وهو أن القرآن يصف الله عز وجل بأنّه (العفو) في مواطن، فيقول في سورة النساء: ﴿ ...وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾. (النساء:٩٩) وفيها كذلك: ﴿ ...فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾. (النساء:١٤٩).. وفي سورة الحج: ﴿ ...إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴾. (الحج:٦٠) وفي سورة المجادلة: ﴿ ...وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴾. (المجادلة:٢)

وما دام العفو صفة من صفات الله التي تؤكدها آيات القرآن، فإنّه مما يزكي الإنسان ويسمو بقدره عند الله وعند الناس أن يتخلق بهذا الخلق الكريم النبيل ولذلك دعا القرآن إلى العفو وحث عليه ونوّه به في أساليب مختلفة فنراه مثلاً في سورة البقرة يقول: ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾. (الشورى:٤٠)

فليس هناك مانع من مقابلة السيئة بجزائها، ومواجهة المؤدي إلى الإصلاح والخير أجمل وأكمل، وثواب هذا العفو النبيل لا يضيع عند الله الذي يقول: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴾. (النحل: ١٢٦)

ويقول في سورة التغابن: ﴿ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾. (التغابن: ١٤)

ويقول في سورة النساء: ﴿ إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾. (النساء: ١٤٩)

وهذا تأكيد للحث على التجمل بالعفو، وتذكير بأن ثوابه إذا أحسن صاحبه التحلي به ولم يخرج فيه عن مواطنه لا يضيع عند الله عزّ وجل.

والقرآن الكريم يحض الناس على الترقي في درجات الصفح والعفو والغفران والتسامح مع الناس فيقول في سورة آل عمران: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾. (آل عمران: ١٣٣-١٣٤)

وكظم الغيظ هو كتم الغضب وعدم العمل بمقتضاه، والعفو هو ترك العقوبة، والإحسان هو التفضل بالخير.

وقيل عن الإمام زين العابدين عليه السلام: إن جارية له كانت قائمة عليه توضؤه، فسقط الإبريق من يدها على وجهه، فشجه، فنظر إليها، فقالت: يا مولاي إن الله عز وجل يقول: ﴿ والكاظمين الغيظ ﴾. قال عليه السلام: «كظمت غيظي». قالت: ويقول: ﴿ والعافين عن الناس ﴾. قال عليه السلام: «قد عفوت عنك». قالت: يقول: «والله يحب المحسنين». قال عليه السلام: «أنت حرة لوجه الله. (شرح الأخبار:٣/ ٢٥٩)

وإذا كان الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم هو المثل الأعلى لكل مسلم، فإن أخلاقه كذلك هي القدوة السامية التي لا تشبهها قدوة في مكارم الأخلاق وفضائل الشيم.

ولقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أروع المثل والحلم والصفح، حتى رووا أنّه كان أحلم الناس وأرغبهم في العفو مع القدرة، ولقد جاء في سيرته العاطرة أنّه كان يقسم للناس ذات يوم، فقال رجل من أهل البادية فيه فظاظة: يا محمد والله لئن أمرك الله أن تعدل، فما أراك تعدل، فأجاب النبي: «ويحك فمن يعدل عليك بعدي؟»، وانصرف الرجل فقال رسول الله في عفو رائع: «ردوه عليّ رويداً».

وقسم النبي ذات يوم قسمة فقال رجل، هذه قسمة ما أريد بها وجه الله، ولما سمع النبي ذلك قال: «رحم الله أخي موسى فقد أوذي بأكثر من ذلك فصبر».

وفي تاريخ عفو الرسول موقف لا ينسى ولا يبلى، فذلك يوم فتح الله عليه مكة، وانتصر على أعدائه الذين آذوه واضطهدوه وأخرجوه، فإنّه قال لهم:«ما تظنّون أنّي فاعل بكم؟»، فأجابوا: خيراً، أخ كريم وابن أخي كريم، فقال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء».

ولم يكتب القرآن الكريم بتعطير سيرة الوفاء فيه، ولا بطلبه من الرسول ليكون قدوة بل طلبه أيضاً من العباد فقال تعالى في سورة النور: ﴿ ...وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ... ﴾. (النور:٢٢)

هذا ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في العفو: «ما زاد الله رجلاً يعفو إلاّ عزاً»، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ما عفا رجل عن مظلمة إلا زاده الله عزاً».

فالعفو خلق من أخلاق القرآن فليحرص عليه أبناء القرآن، ليستحقوا عفو الرحمن.

بقلم: الدكتور الشرباصي



عندما نجحت بطون قريش في انقلابها الذي قاده صهرا النبي، واستولت بالقوة والتغلب والقهر على منصب الخلافة اتخذت سلسة من التدابير والقرارات المؤلمة، نجحت، من خلالها، بإلغاء النهج العام الذي رسمه النبي للتشيع لعلي بن أبي طالب بخاصة وأهل بيت النبوة بعامة.

لما أراد النبي أن يكتب توجيهاته النهائية، وهو على فراش الموت وجد نفسه وجهاً لوجه أمام بطون قريش: مهاجرها وطليقها، ومن خلف البطون المنافقون والمرتزقة من الأعراب! وجد نفسه أمام حزب منظم وقوي يقوده صهره عمر بن الخطاب، فما أن قال النبي: قربوا أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً، حتى قال عمر بن الخطاب: إن النبي يهجر، حسبنا كتاب الله! وعلى الفور رددت البطون وحلفاؤها: القول ما قال عمر! إن النبي يهجر! ونجحوا في الحيلولة بين النبي وبين كتابة ما أراد.

لقد تيقن النبي والقلة المؤمنة التي اصطفاها لتشهد كتابة توجيهاته النهائية، إنهم أمام الفتنة بعينها، وإن بطون قريش التي هزمها النبي، وهي على الشرك، جاءت لتهزم النبي تحت مظلة الإسلام! وإنها تهدف إلى هدم كافة الترتيبات الإلهية المتعلقة بالإمامة والقيادة والولاية من بعد النبي، وأنّها تستعد لغصب حق أهل بيت النبوة الشرعي في القيادة، والاستيلاء عليها بالقوة والتغلب والقهر، وتقديم الدين على طريقة البطون.

لقد قدرت البطون ودبرت فأحكمت التدبير، فلو أصر النبي على كتابة توجيهاته لأصرت البطون وحلفاؤها على هجر النبي صلى الله عليه وآله وفي ذلك هدم للدين وإبقاؤه طريقاً لملك البطون، وقدر النبي أن عهوده ومواثيقه اللفظية وتأكيداته التي تكررت تكفي المؤمنين ليحموا الشرعية الإلهية بسواعدهم، فإن تخاذلوا عن حمايتها فسيذلوا ويحرموا نعمة هذه الشرعية الإلهية، وسيتفرقوا.

وإن تفرقوا لن يجتمعوا إلا بالعودة إلى هذه الشرعية بعد أن يمسهم الشيطان بنصب وعذاب. وخرجت البطون من بيت النبي منتصرة، واغتنمت فرصة انشغال أهل بيته بتجهيزه وتكفينه، ونصبت خليفة، وبايعته بطون قريش، وبايعه المنافقون والمرتزقة من الأعراب، وأصحاب المصالح من الأنصار، وعزل أهل بيت النبوة وبنو هاشم والقلة المؤمنة وصاروا أقلة كما كان وضعهم في مكة قبل الهجرة.

وواجه الإمام علي وأهل البيت والفئة المؤمنة واقعاً سياسياً لا طاقة لهم بمواجهته.

إلغاء النهج العام للتشيع وتجميده

عندما نجحت بطون قريش في انقلابها الذي قاده صهرا النبي، واستولت بالقوة والتغلب والقهر على منصب الخلافة اتخذت سلسة من التدابير والقرارات المؤلمة، نجحت، من خلالها، بإلغاء النهج العام الذي رسمه النبي للتشيع لعلي بن أبي طالب بخاصة وأهل بيت النبوة بعامة، فبدلت رسمياً واجب الولاء لأهل بيت النبوة بالولاء لقريش، وجعلت الولاء لخليفة

البطـون بديلاً من الـولاء لعلي بن أبي طالب، وجمدت التشـيع تجميداً كامـلاً من عدة طرق هي:

١. منـع رواية الأحاديـث النبوية المتعلقة بالتشـيع لأهل بيت النبوة بعامة ولعلـي بخاصة وكتابتها، وحرق المكتوب منها.

٢. تحطيم الرموز التي ينبغي شرعاً على الناس أن يوالوها.

فقـد جـر الخليفـة الأول الإمـام علي بـن أبي طالـب جراً، وهدد بالقتل إن لم يبايع، وشـرع جيشـن الخليفـة في حرق بيت فاطمة بنت الرسـول محمد على من فيه، وفيه فاطمة والحسن والحسين سـبطا الرسول.

٣. حرمـان أهـل بيـت النبوة مـن حقهم في مـيراث النبي، ومصادرة المنح التي أعطاها لهم النبي حال حياته! وحرمانهم من حقهم في الخمسـ الوارد في آية محكمة.

٤. حرمـان أهـل بيـت النبـوة مـن تـولي الوظائـف العامة وأوضحـت البطـون لهم بأنه إذا مـا أرادوا العيشـ فإن عليهم أن يقفـوا أذلة أمـام بيت الخليفة ليأخـذوا حاجتهم من المأكل والمشرب! واسـتعملت سلطات الدولة ونفوذها لصد الناس عن مـوالاة علـي وأهل بيت النبـوة ونجحت في ذلك.

فمن خلال هذه التدابير المؤلة اسـتطاعت دولة البطون أن تعزل علياً وأهـل بيت النبوة اجتماعياً وسياسـياً واقتصادياً، وأن تذلهـم إذلالاً بالغاً، وأن تظهرهم في مظهر الذين لا حول لهم ولا قوة.

ومـا يعنينـا أن دولة البطـون ألفت، رسـمياً وعمليـاً، النهج العـام للتشـيع الـذي رسـمه النبي، وجمـدت التشـيع تجميداً تامـاً، والقلـة التي اختارت الوفـاء بعهد الله ورسـوله، والبقاء على ولائها وتشـيعها لعلي خاصة وأهـل بيت النبوة عامة كتمت ولاءهـا وتشـيعها، وتظاهـرت بتقبل مـا حدث حفظـاً لحياتها ومصالحها، وبقيت عقيدتها بالتشـيع على بساطتها التي كانت سـائدة في زمن الرسـول، فهي تؤمن بالقرآن وبيان النبي لهذا القرآن قانوناً أبدياً للأمة، وتؤمن بعلي بن أبي طالب وأئمة أهل بيـت النبوة قيادة أبدية للأمة مـن بعد النبي، ولكنها اضطرت لإخفاء هذا الإيمان.

بمعنـى أنـه لم يكـن للشـيعة فرق في هـذا العهد إنمـا كانوا فرقة واحدة.

عودة النهج العام للتشيع

بعد مقتل خليفة بطون قريشـ الثالث عثمان، وتسـلم الإمام علـي منصب الخلافة، رفع جميع القيـود التي وضعها الخلفاء الثلاثة، وأخذ يكشف النقاب ويذكر الأمة بالنصوص الشرعية التـي عالجت منصب القيادة من بعد النبي.

ولم تمضـ آونـة بسـيطة علـى حكمه حتـى أدركـت الأكثرية السـاحقة من المسـلمين، أن المياه قـد عـادت إلى مجاريها، وأن الحق قـد عاد إلى صاحبه، وشـعرت كأنها اسـتفاقت من حلم، وأعلنت الفئـة المؤمنة حقيقة إيمانها وفتـح الإمام بعض مغاليق علمه بالقـدر الذي تتحمله العامة، وعادت سـيرة البطل لتشـق طريقها إلى الأسـماع من دون قيود، وبهر الجميع بمسلك الإمام الشـخصي وعدله وجلال قدره، فالتفت حولـه قلوب المخلصين فتشـيعوا له ولأهل بيته، وتشـيعت البقية أو تظاهرت بالتشيع.

وصـار التشـيع لأهـل بيـت النبـوة النهـج العـام للمجتمع، بعد القضاء على حزب عائشـة وطلحـة والزبير، ودانت البلاد الإسـلامية لحكـم الإمام وقيادته ولم تبق إلا ولاية الشـام التي أعلنـت عصيانها له بقيادة معاوية بن أبي سـفيان.

خلال هـذه الحقبة كانـت الشـيعة فرقة واحـدة ولعقيدتها البسـاطة التي كانت سـائدة في عهد النبي وتقوم هذه العقيدة على حديث الثقلين الذي يؤكد أن قيادة الأمة حق خالص لأئمة أهل بيت النبوة.

الاختلاف ونشوء الفرق

وقـف الصحابـة المخلصـون جميعهـم مـع الإمـام علي في سـلمه وحربـه ومعهم عامـة المسـلمين، ووقفت بطون قريشـ ومعها المنافقون والمرتزقة من الأعراب وأهل الشام مع معاوية، الذي اسـتعد لهذه المواجهة طوال مدة حكمه لولايته الشام التي امتدت قرابة عشـرين عاماً.

كانـت مواجهـة بين القـوة والشـرعية، لقد أنهكـت الحرب معسـكر الإمام وحدثـت معركة صفـين، ورجحت كفـة الإمام ومعسـكره، ولاحت بوادر هزيمة معاوية وجيشه فاخترع معاوية وابـن العاص خدعة رفع المصاحف على الرماح، وشـعار (هذا كتـاب الله بينـا وبينكـم)، ودب الخـلاف في معسـكر الإمام، فمنهم من يقول: هـذا كتاب الله، ومنهم من يقول: تلك خدعة من رجلـين لا يعرفان كتاب الله.

وتوقـف القتال، واشـتد الخلاف في معسـكر الإمام، وصار الإمـام نفسـه مأمـوراً بعـد أن كان آمـراً، ووجـدت الأكثرية فرصـة للقعود والدعة، وتهيأ المناخ لنشـوء الفرق والأحزاب، الفئـة المؤمنـة، وهي قلة بقيـت على ولائها للحـق لم تتزعزع، والأكثرية السـاحقة فتحت آذانها لما يقـال وهو كثير، وفتحت قلوبها للهـوى الذي انفلت من حواجزه، وتبعثرت وتشـرذمت الكـثرة طرائق بدداً.

كان هـم الإمـام أن يعيـد الكـثرة إلى خـط القلـة المؤمنة، وكانت المهمة عسـيرة إن لم تكن مسـتحيلة، فقد ألقى الخلاف أجرانه في معسكر الإمام وأفلتت أزمة الأمور من يده، وعبر عن واقع الحال بقولـه: (لا رأي لمن لا يطاع).

بقلم: أحمد يعقوب

ملاحقة الأفكار المنحرفة وردها من قبل الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)

نقل ابن شهرآشوب في (المناقب) عن أبي القاسم الكوفي في كتاب (التبديل) روايات تدلّ على أن الإمام العسكري (عليه السلام) كان يلاحق التطوّر الثقافي في مواجهة الفكر الإسلامي، بحيث كان يلاحق المفكرين في زمانه، وخصوصاً الذين يعملون على تهديم الأسس العقيدية والثقافية للإسلام، ومنهم فيلسوف العراق، ويُقال أيضاً فيلسوف العرب (يعقوب بن إسحاق الكندي)، فيروي ابن شهرآشوب عن الكندي: "أخذ في تأليف تناقض القرآن وشغل نفسه بذلك وتفرّد به في منزله، وأنَّ بعض تلامذته دخل يوماً على الحسن العسكري، فقال له أبو محمد (عليه السلام): "أما فيكم رجل رشيد يردع أستاذكم الكندي عمّا أخذ فيه من تشاغله بالقرآن؟ فقال التلميذ: نحن من تلامذته، كيف يجوز منّا الاعتراض عليه في هذا أو في غيره؟ فقال له أبو محمد (عليه السلام): أتؤدي إليه ما ألقيه إليك؟ قال: نعم، قال: فَصِرْ إليه وتلطّف في مؤانسته ومعونته على ما هو بسبيله

ـ فالشرط الأول أن تدخل قلبه لتستطيع أن تدخل عقله، وهذا أسلوب من أساليب الحوار في القران، وهو أنك إذا أردت أن تدخل في حوار فكري مع شخص آخر تختلف معه لتقنعه بما أنت فيه، أو لتناقشه فيما هو فيه، فعليك أولاً أن تفتح قلبه بالكلمة الحلوة والإطلالة الحلوة والأسلوب الحلو، لا أن تكفّره وتزندقه وتجهّله ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾،(النحل:١٢٥)، ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾،(الإسراء:٥٣).

فإذا وقعت الأنسة في ذلك، فقل: قد حضرني مسألة أسألك عنها، فإنه يستدعي ذلك، فقل له: إن أتاك هذا المتكلّم بالقرآن (أي الذي يوحي لك بهذه الأفكار)، هل يجوز أن يكون مراده بما تكلّم به غير المعاني التي قد ظننت أنّك قد ذهبت إليها؟ فإنّه سيقول: إنه من الجائز، لأنّه رجل يفهم إذا سمع. وعظمة أهل البيت (عليهم السلام) أنهم لا ينكرون على الذين يختلفون معهم صفاتهم الإيجابية،

خلافاً لما هو دائر بيننا، فإذا اختلفنا مع شخص فلا نتحدّث عنه بخير ولو بنسبة واحد بالمائة، فمع أن الكندي ألّف كتاباً في تناقض القرآن وهو أمر خطير، لكن الإمام (عليه السلام) يقول لتلميذه إنه سيقول لك من الجائز، لأنه رجل مفكّر، ولأنه رجل منسجم مع نفسه، فإذا جئته بفكرة معقولة، فإنها سوف تدخل عقله ولا يتعصّب في رفضها ويتشبّث بقناعاته. فإذا أوجب ذلك. فإذا رأيته استجاب للمسألة. فقل له: فما يدريك، لعلّه قد أراد غير الذي ذهبت أنت إليه فيكون واضعاً لغير معانيه.

فصار الرجل إلى الكندي، وتلطّف إلى أن ألقى هذه المسألة، فقال له: أعد عليّ، فأعاد عليه، فتفكّر في نفسه، ورأى أنّ ذلك محتملٌ في اللغة وسائغٌ في النظر. فاللغة العربية مرنة متحرّكة، فقد يفهم بعض الناس الكلام على أنه الحقيقة وهو من المجاز، وقد يفهم أن المراد هو المعنى اللغوي والمقصود هو المعنى الكنائي.

فقال: أقسمت عليك إلا أخبرتني من أين لك؟ فقال: إنه شيء عرض بقلبي فأوردته عليك، فقال: كلاّ، ما مثلك من اهتدى إلى هذا، ولا من بلغ هذه المنزلة، فعرّفني من أين لك هذا؟ فقال: أمرني به أبو محمد (عليه السلام)، فقال: الآن جئت به، وما كان ليخرج مثل هذا الأمر إلا من ذلك البيت "الذي زقّ أهله العلم زقاً. والذين يعيشون صفاء الحقيقة واستقامة التفكير والجدل من أجل الوصول إلى الحقيقة. ثم إنه دعا بالنار وأحرق جميع ما كان ألفه" (المناقب، ج:٣، ص:٤٥٩).

فالإمام العسكري (عليه السلام) كان يتابع بدقّة ما يجري على الساحة الفكرية في عهده، ويناقش الأفكار المنحرفة التي تُطرح هنا وهناك، وكان يواجهها بالحجّة وبالأسلوب العلمي، لأنه يعرف أنّ شخصاً مثل الكندي الذي هو فيلسوف العراق، لا يمكن أن تردّه عمّا هو فيه بالأساليب السلبية كالشتائم والتكفير والتضليل وما إلى ذلك، مما يستخدمه المتفلسفون الذين لا يملكون الحجّة على ما يواجهون به الذين يختلفون معهم.

وهناك حديث آخر أيضاً يحاول الإمام (عليه السلام) أن يردّ فيه بعض الشبهات. فعن الكليني بإسناده عن إسحاق بن محمد النخعي، قال: "سأل الفهفكي أبا محمد (عليه السلام) السؤال المطروح دائماً: (للذكر مثل حظّ الأنثيين)، (النساء:١١)، فلماذا جعل الله المرأة الطرف الضعيف وأنقص من حقها وجعل الرجل الطرف القويّ وجعل له الحظّ الأوفر، ما بال المرأة المسكينة الضعيفة تأخذ سهماً واحداً ويأخذ الرجل سهمين؟! فقال أبو محمد (عليه السلام): "إنّ المرأة ليس عليها جهاد. بينما الرجل عليه جهاد، وكان الرجل في الجهاد يأخذ سلاحه، فلم تكن الدولة تعطي المقاتل سلاحاً، بل يشتريه ويحمل معه مؤونته وراحلته. ولا نفقة للمرأة. فلا يجب عليها أن تنفق على الرجل ولا على أولادها، بل الرجل هو الذي ينفق عليها. ولا عليها معقلة". فإذا قتل شخص إنساناً خطأ، فإنّ الدية تتحملها العاقلة، وهي الرجال من الأقرباء، أما النساء فلا يدفعن الدية، فالله عندما أعطى الرجل أعطاه بمقدار ما أخذ منه، فقد حمّله مسؤولية الجهاد ونفقة العائلة ونفقة الزوجة، وجعله مشاركاً في الدية التي تكون على العائلة، أما المرأة فإنه لم يلزمها بذلك، ومعنى ذلك أنّ حصة المرأة أصبحت أكثر من حصة الرجل، وكأنَّ الإمام (عليه السلام) يريد أن يقول له: ليست المسألة هي أنه كم أعطاك، لكن كم أخذ منك، فَمَن الرابح في الطرفين في المحصّلة؟ إنَّ المرأة إذا تزوجت تأخذ مهراً وتأخذ النفقة، فلا تنفق من مالها، ثم إنَّ نفقة الأولاد على الرجل أيضاً، فمالها يبقى ثابتاً لا يتحرّك.

يقول. فقلت في نفسي قد قيل لي إن ابن أبي العوجاء قد سأل أبا عبد الله (عليه السلام) فأجابه بهذا الجواب. والإمام العسكري (عليه السلام) التقط ما في نفسه قبل أن يتحدّث به. فأقبل أبو محمد (عليه السلام)، فقال: «نعم، هذه المسألة مسألة ابن أبي العوجاء والجواب منّا واحد. فنحن لا نختلف "والإمام الصادق (عليه السلام)، فجوابنا واحد إذا كان معنى المسألة واحداً. جرى لآخرنا ما جرى لأولنا؛ وأوّلنا وآخرنا في العلم سواء. ليس هناك إمام أفضل من إمام. ولرسول الله(ص) ولأمير المؤمنين (عليه السلام) فضلهما" (الكافي، ج:٧، ص:١١٤).

وهذه حقيقة إيمانية لا بدّ أن ننتبه إليها، وهي أن الإمام (عليه السلام) يؤكد في هذه الرواية أنَّ الأئمة(عليهم السلام) حتى لو صدر من بعضهم ولم يصدر من البعض الآخر إلا أقل من ذلك بسبب الظروف التي تتسع لبعض وتضيق عن آخر، إلا أن قاعدة العلم واحدة للأول وللآخر.

بقلم: محمد فاضل محمد



الأخلاق الاجتماعية عند الإمام علي عليه السلام

بمقدور المتتبع أن يتخذ من وصف ضرار بن ضمرة لأمير المؤمنين عليه السلام منطلقاً للدخول في عالمه الرحيب.

فقد دخل ضرار على معاوية لعنه الله - أيام استكان الناس وأسلموا لمعاوية القياد - فألح على الرجل أن يصف له علياً عليه السلام فتردد ضرار كثيراً، فلما مضى معاوية في إصراره قال ضرار: أما إذا لابد (فكان والله بعيد المدى، شديد القوى - يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، يستأنس بالليل وظلمته؛ كان والله غزير الدمعة، كثير الفكرة، يقلب كفه ويخاطب نفسه، يعجبه من اللباس ما خشن، ومن الطعام ما جشب؛ كان والله كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه، ويبتدؤنا إذا أتيناه، ويأتينا إذا دعوناه؛ ونحن والله مع قربه منا، ودنوه إلينا لا نكلمه هيبة له، ولا نبتديه لعظمته، فإن تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم؛ يعظم أهل الدين، ويحب المساكين، ولا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله؛ فأشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه ليلة، وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه، وقد مثل قائماً في محرابه قابضاً على لحيته يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين، وكأني أسمعه وهو يقول:

«يا دنيا غري غيري أبي تعرضت أم إلي تشوقت، هيهات، هيهات!! قد أبنتك ثلاثاً لا رجعة لي فيك، فعمرك قصير وعيشك حقير وخطرك كبير.. آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق». (تذكرة الخواص:١٢٧)

وهذا الوصف للإمام عليه السلام على وجازته يكشف بعمق عن الإطار العام لشخصية الإمام عليه السلام في شتى ملامحها في الحقل الروحي والاجتماعي، في علاقته بربه، وعلاقته مع نفسه، وكيفية تعامله مع الناس من حوله.

فإن حديث ضرار يضع في أيدينا رأس الخيط الذي يوصلنا إلى طبيعة العلاقات الاجتماعية التي سلكها أمير المؤمنين في حياته (كان والله كأحدنا يجيبنا إذا سألناه ويبتدؤنا إذا أتيناه، ويأتينا إذا دنوناه، ونحن والله مع قربه ودنوه إلينا لا نكلمه هيبة له، ولا نبتديه لعظمته.. يعظم أهل الدين، ويحب المساكين، ولا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله..).

ويبدو أن هذا اللون من علاقة أمير المؤمنين عليه السلام مع قومه إنما كان في أيام حكمه، مما يطرح بين أيدينا تصوراً ناضجاً عن عظمة أمير المؤمنين عليه السلام وبلوغه القمة في مدارج الكمال والفضيلة.

فمع أن الإمام عليه السلام كان يحتل موقع القيادة في دنيا الناس وبيده أزمة حياتهم الفكرية والاجتماعية، نراه

كواحد مـن عامة الناس، وكأن موقعه ليس في أعلى مركز قيادي فهو يلغي الحواجز والألقاب، ويعامل الأمة كما لو كان واحداً من عامتها بقلب حان، ونفس متواضعة، وحب صادق عميق.

وهي روح لم يألفها التاريخ الإنساني منذ الآماد الموغلة في القدم حتى اليوم في قيادة غير قيادة رسول الله صلى الله عليه وآله ووصيه علي عليه السلام.

وقد وفق الإمام عليه السلام توفيقاً عظيماً في قيادة الواعين لأهمية قيادته في دنيا المسلمين على الأقل.

فقد كانت قيادته مبنية على الحب والإجلال معاً فبقدر ما كان يبذل من دفء وده للأمة، كان أتباعه يمنحونه الكثير من الود والتعظيم..

الأمر الذي يذكرنا بسياسة رسول الله صلى الله عليه وآله ويطرحها واقعاً حياً في دنيا الناس؛ فالتجربة واحدة في هذا المضمار وسواه، وإن تغير الموقع التاريخي.

ورحم الله صعصعة بن صوحان حيث يقول في وصفه للإمام عليه السلام (كان فينا كأحدنا في لين جانب، وشدة تواضع، وسهولة قياد، وكنا نهابه، مهابة الأسير المربوط للسياف الواقف على رأسه). (شرح نهج البلاغة للمعتزلي:١/ ٢٥)

وتتجلى عظمة الإمام عليه السلام في أخلاقه الاجتماعية من خلال المبادئ الآتية:

أولاً: إشاعة العدل الاجتماعي بين الناس

جاءت الخلافة للإمام عليه السلام في ظروف بالغة الخطورة والتعقيد، فذوو النفوذ من الناس قد ألفوا الاستئثار واستراحوا إليه، وليس يسيراً أبداً أن يذعنوا لأية محاولة إصلاحية تضر بمصالحهم الذاتية.

ثم إن المطامع قد تنبهت لدى الكثير من الرجال، بعد أن أصبحت الخلافة مغنماً لا مسؤولية لحماية الشريعة والأمة، ولقد كان الإمام عليه السلام مدركاً لحقيقة الموقف بدقائقه وخفاياه بشكل جعله يعتذر عن قبول الخلافة حين أجمعت الأمة على بيعته بعد مقتل الخليفة عثمان قائلاً: «دعوني والتمسوا غيري فإنا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان، لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول، وإن الآفاق قد أغامت والمحجة تنكرت...». (نهج البلاغة: ١٣٦)

ولكن جماهير المدينة المنورة، وجماهير الثوار من العراق ومصر أصروا على استخلافه عليهم، فنزل الإمام عند رغبتهم، ولكن وفقاً لشروطه الخاصة – هو «واعلموا أنّي إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم، ولم أصغ إلى قول القائل وعتب العاتب». (نهج البلاغة: ١٣٧)

ولقد كانت أولى مهام الإمام عليه السلام أن يجسد العدالة الاجتماعية في دنيا الناس ويمنح المنهج الإسلامي فرصة في البناء والتغيير على شتى الأصعدة، فقد بدأ عليه السلام خططه الإصلاحية، بإلغاء السياسة المالية والاجتماعية والإدارية التي كان معمولاً بها ليوفر الجو المناسب لتطبيق المخطط الإسلامي في العدالة الاجتماعية:

أ: استرجاع الأموال التي تصرف بها بنو أمية من بيت المال.

ب: الاستغناء عن كثير من الولاة الذين أساؤوا التصرف، وخالفوا أمر الله تعالى، وتخطوا منهجه الأقوم الذي ارتضاه لعباده.

ج: المبادرة إلى تبني سياسة المساواة في توزيع المال والحقوق، منهياً بذلك دور الطبقية والتمييز والأثرة.

فقال عليه السلام: «المال مال الله، يقسم بينكم بالسوية لا فضل فيه لأحد على أحد». (نهج البلاغة: ١٣٨)

وقوله عليه السلام: «ألا لا يقولن رجال منكم غداً قد غمرتهم الدنيا فامتلكوا العقار، وفجروا الأنهار، وركبوا الخيل، واتخذوا الوصائف المرققة، إذا منعتهم ما كانوا يخوضون فيه، وأصرتهم إلى حقوقهم التي يعلمون، حرمنا ابن أبي طالب حقوقنا!». (نهج البلاغة: ١٣٩)

تبنى الإمام سياسة العدل الشامل

- في معاملة أفراد الأمة.
- في منهج الحقوق.
- في توزيع المسؤوليات.

وكان منهج الإمام عليه السلام في العدل لا يناظره إلا منهج رسول الله صلى الله عليه وآله إن لم نقل أنه منهج الرسول صلى الله عليه وآله بالذات.

فقال عليه السلام: «...والله لئن أبيت على حسك السعدان مسهداً، وأجر في الأغلال مصفداً، أحب إلي من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد، غاصباً لشيء من الحطام... والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة

مـا فعلت، وأن دنياكـم عندي لأهون من ورقـة في فم جرادة تقضمهـا، ما لعلي، ونعيم يفنـى ولذة لا تبقى، نعوذ بالله من سـبات العقل وقبح الزلل وبه نستعين». (نهج البلاغة: ٢٢٤)

وقال عليه السـلام: «الذليل عنـدي عزيز حتى آخذ الحق له». (روائع من نهج البلاغة: ١٢٣)

وقولـه عليـه السـلام: «وأيم الله لأنصفـن المظلـوم مـن ظالمـه، ولأقودن الظالم بخزامته حتـى أورده منهل الحق وإن كان كارهـاً...». (نهـج البلاغة: ١٣٦)

ولم تكـن هـذه المبـادئ التـي يتحدث عنهـا الإمـام عليه السـلام ذاته، أمنيـات وأفكاراً طرحها في دنيا المبادئ والأفكار، وإنما جسـدها واقعاً حياً قبل أن يطرحها فكراً.

وهـي خصيصـة مـن خصائص علـي عليه السـلام فالقـول عنـده يعقـب العمـل أو يجـري مـن طبيعتـه.

ومـن أجل ذلـك مـلأ الإمام عليـه السـلام دنيـا المسـلمين قسـطاً وعدلاً وحقـق انقلاباً في واقـع المسـلمين علـى الصعيـد الاجتماعـي والاقتصـادي والسياسـي وفقـاً لمقتضيـات العدل الإلهي فأعـاد بذلك أيام رسـول الله صلـى الله عليه وآله في صفائهـا وإشـراقها وعدلها الشـامل.



فحسـبك أن أمـير المؤمنـين عليـه السـلام كان يرتـدي القميصـن المرقـوع ويبالـغ في رقع مدرعته كلمـا تمزق جانب منهـا حتى يبلـغ الأمر بالإمام عليه السـلام أن يسـتحي من راقعهـا. (تذكرة الخواص: ١٢٥)

وكان يخـرج إلى السـوق ليبيـع سـيفه كي يشـتري بثمنه أزراراً وهـو في علو شـأنه وعظمة مركزه الـذي يحتل في دنيا المسلمين حيث تجبى إليه الأموال من أقاليم الدولة الإسلامية جميعها، وثروات الدولة تحت تصرفه. (شـرح نهج البلاغة: ٢/ ٢٠٠)

وكان يـأكل خبز الشـعير بنخالته وكان غالـب أدامه اللبن أو الملح والماء.

ولم يكـن للإمام عليه السـلام غير قميصـن واحد لا يجد غيره عند غسـله. (مناقب آل أبي طالب: ٢/ ٩٧)

ومع شـدة زهـد الإمام عليه السـلام في الدنيـا، فقد كان حريصـاً على توفير الرفـاه الاقتصادي للأمـة التي اضطلع بقيادتها، فكان يقسـم الذهب والفضة بين الناس، ويطعمهم اللحم والخبز ويعمل كل ما في وسعه لرفع غائلة الفقر عنهم. (بحار الأنوار: ٤٠/ ٣٣٠)

وكان بيـت المـال لا يـكاد ترد إليـه الأموال حتى يبـادر الإمام عليـه السـلام إلى توزيعها على النـاس، لإعطـاء كل ذي حـق حقه .

وكان منهاجـه في توزيـع المال التزام أقصى درجات العدالة.

فهـا هـو يخاطـب الزبـير وطلحة حينما كبر عليهما منهاج المسـاواة في العطـاء «...فوالله ما أنـا وأجيري هـذا إلا بمنزلة واحدة». (مناقب آل أبي طالب: ١/ ٣٧٨)

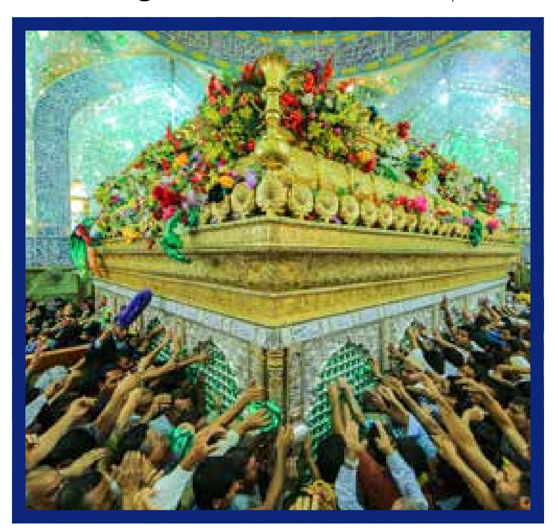
وهـا هـو سـهل بـن حنيـف يخاطبه: يا أمير قد أعتقت هذا الغـلام، فأعطـاه ثلاثـة دنانير مثل ما أعطى سـهل بن حنيف». (مناقـب آل أبي طالـب: ١/ ٣٧٩)

ويأتيه عاصم بن ميثم – وكان الإمام عليه السـلام يقسـم أموالاً – فقال: يا أمير المؤمنين إني شـيخ مثقل، فقال الإمام عليه السـلام: «والله ما هي بكد يـدي ولا بتراثي عن والدي، ولكنها أمانة أوعيتها». (مناقب آل أبي طالب: ١/ ٣٧٧)

وجـاء عبد الله بن زمعـة – وهو من شـيعته – يطلب منه مالاً، فقال له الإمام عليه السـلام: «إن هذا المال ليس لي ولا لك، وإنما هو فيء المسـلمين وجلب أسـيافهم، فإن شركتهم في حربهـم كان لك مثل حظهم، وإلا فجناة أيديهم لا تكون لغير أفواههم». (بحـار الأنوار: ٤١/ ١١٥. نهج البلاغة: ٢٣٢)

ويدخـل عليه عمرو بن العاص ليلة وهـو في بيت المال يتولى بعض شؤون المسلمين، فأطفأ الإمام عليه السلام السراج وجلس في ضوء القمر، فالسراج ملك الأمة، فلا يصح أن يستضيء به ابن العاص، وهو في زيارة خاصة للإمام عليه السلام!

حرص فريد على أموال الأمة، وسهر دائم على مصلحتها وعمل دائم من أجل إسعادها وهدايتها وإصلاح شأنها.



علـى أن تعاهـد أمـر الأمـة مـن لدن علـي عليه السـلام ليس محصوراً في إطار المال وتوزيعه وإنما يمتد لكي يشعر الإنسان بكرامته ويعيد وعيه بحقه في الحياة الحرة الكريمة، ويعلمـه أن يتمرد على الظلم والكبت وسلب الإرادة.

وقـال عليـه السـلام: «لاتكـن عبـد غيرك وقـد جعلك الله حـراً». وقوله عليه السـلام: «أنه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والأحكام وإمامة المسلمين البخيل، فتكون في أموالهم نهمته، ولا الجاهل فيضلهم بجهله ولا الجافي فيقطعهم بجفائه، ولا الحائف للدول، فيتخذ قوماً دون قوم، ولا المرتشي في الحكم، فيذهب بالحقوق، ويقف بها دون المقاطع، ولا المعطل للسنة فيهلك الأمة». (نهج البلاغة: ١٣١)

وقال عليه السـلام: «فلا تكلموني بمـا تكلم الجبابرة، ولا تتحفظوا مني بما يتحفظ به عند أهل البادرة، ولا تخالطوني بالمصانعـة، ولا تظنوا بي اسـتثقالاً في حق قيـل لي، فإنه من اسـتثقل الحق أن يقال له أو العدل أن يعرض عليه كان العمل بهمـا أثقل عليه! فلا تكفوا عن مقالة بحق أو مشـورة بعدل». (نهج البلاغة: ٢١٦)

وتمتـد ظـلال العدالـة في عهـد أمـير المؤمنـين عليـه السـلام فيرعـى أسـواقهم من ناحيـة المكاييـل والمعروض من السـلع وطبيعة المعامـلات فيها، فيخـرج كل يوم يتفقد أسواق المسـلمين بنفسه فيرشد الضال، ويهدي المقصر إلى طريق الحق، ويأمـر بكل معروف، وينهى عن المنكر. (بحار الأنـوار: ٤١/ ١٠٤)

ولشـدة حرص الإمـام أمير المؤمنـين علي عليه السـلام على تطبيق العدالة الإسـلامية بأروع صورها في دنيا الناس، وعلـى شـتى الأصعـدة أنه وجد درعـه عند رجـل نصراني، فوقـف معه أمـام القاضـي ليقاضيـه في الأمر.

فقـال الإمـام عليـه السـلام: «إنهـا درعـي، ولم أبع، ولم أهب».

فسـأل القاضـي الرجـل النصـراني: ما تقـول فيما يقول أمير المؤمنين؟

قـال الرجل: ما الـدرع إلا درعي وما أمـير المؤمنين عندي بكاذب.

فالتفـت القاضي للإمام عليه السـلام: طالباً بينة تشـهد أن له الدرع.

فضحـك الإمام عليه السـلام معلناً أنـه لا يملك بينة من ذلك النوع.

فقضى القاضـي بأن الدرع للنصـراني، فأخذها ومضى، والإمام ينظر إليه.

إلا أن الرجـل عـاد وهـو يقـول: أمـا أنـا فأشـهد أن هذه أحكام أنبيـاء، أمير المؤمنين يدينني إلى قاض يقضي عليه – الدرع والله – درعك يا أمير المؤمنين، وقد كنت كاذباً فيما ادّعيت. (علي وحقوق الإنسـان لجـورج جرداق: ٨٧)

وحصيلـة الأمـر أن يعلـن الرجـل إسـلامه ويخلـص في الوقوف تحت راية الإمام عليه السـلام مؤمناً مجاهداً ذائداً عن رسـالة الهدى.

وبقـدر ما كان الإمام عليه السـلام حريصاً على تجسـيد روح العدالـة التـي صدع بها رسـول الله صلـى الله عليه وآله لإخـراج الإنسـان مـن ظـلام الظلم والقهـر والكبـت، كان حريصـاً كذلـك على إلـزام ولاتـه وقضاته وقادة جيوشـه، وجباة الأموال بالتزام العدل في معاملة الناس، وتحري الحق في الحكـم والقضـاء وإعطاء الحقوق، وفي جمـع المال وحتى في حالات الحرب وسـواها.

بقلم: محمد محمد علي



فقه التواصل الاجتماعي

مطابق لفتاوى سماحة السيد علي السيستاني دام ظله

السؤال: في الآونة الأخيرة ومع التطور التكنلوجي الحاصل في العالم من شبكات التواصل العالمية (من خلال الانترنت) نودّ أن نطرح على جنابكم الموقّر الأسئلة الآتية التي ابتلينا بها نحن العوائل المسلمة من أتباع أهل البيت عليهم السلام، والأسئلة هي:

١) هل يجوز للمرأة مراسلة أي فرد على الإطلاق ومن دون علم زوجها أو أبيها، وكذا الحال بالنسبة للأبناء حيث يراسلون الإناث؟

٢) عند طلب الرجل معرفة ما يحصل من مراسلة الزوجة أو البنت أو الابن أو الأخت يقولون: (هذا ليس من شأنك ولا يحق لك الاطّلاع على ذلك لأنّه مخالف للخصوصية الشخصية)، فهل هذا صحيح؟

٣) هل يحق للزوج أو الأب محاسبة الزوجة أو الأولاد إذا استمر التواصل مع الآخرين خصوصاً إذا كان ذلك التواصل مخفي ومثير للريبة والشك بوجود علاقات غير شرعية، وبتعبير آخر ما هي وظيفة الزوج تجاه زوجته، ووظيفة الأب تجاه ابنته أو ابنه؟

الجواب: لا يجوز للمرأة التواصل مع الرجل بالمراسلة الكتبية أو الصوتية فيما لا يجوز بالمشافهة بلا فرق. ولا ينبغي لها التصرّف على وجه يثير ريبة زوجها أو أبيها بل قد يحرم ذلك في جملة من الموارد كما لو كان التصرّف من قِبَل الزوجة مريباً عقلاً، بحيث يعدّ منافياً لما يلزمها رعايته تجاه زوجها أو كان التصرف من البنت مما يوجب أذيّة الأب شفقة عليها، وكذلك الحال في الابن بالنسبة إلى أبيه، وإذا توقّف رفع الإشكال على اطّلاع الزوج أو الوالد على مضمون المراسلات تعيّن ذلك إذا لم يترتب محذور آخر. وعلى العموم فإنّ للزوج والوالد وظيفة في شأن الزوجة والولد.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُم وَأَهْلِيكُم نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةِ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لاَ يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُم وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾. (التحريم: ٦)

فعلى الزوجة والأولاد أن يكونوا عوناً لهما في القيام بهذه الوظيفة على ما أمر الله تعالى به، ولهما في حال عدم الاستجابة لذلك القيام بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مورده حسب الضوابط الشرعيّة والله العاصم.

السؤال: نقل البعض عن سماحة السيد السيستاني دام ظله أنه لا تحرم المفاكهة مع الأجنبية مطلقاً وإنما يعتبر أن يكون حدود الحديث لغرض صحيح وخالياً من اللغو والباطل من دون أن تعمد المرأة إلى ترقيق صوتها وتحسينه بقصد إغراء الرجل وفتنته وأما مجرد المحادثة بينهما لمجرد المحادثة والأنس بحديثها والمكث معها وممازحتها فهو مكروه

إذا لم يشتمل على الريبة والفتنة والافتتان والتلذذ فهل هذا المضمون موافق عليه أم لا؟

الجواب: لا تحرم مجرد المحادثة مع رعاية الآداب وعدم ترقيق الصوت وعدم التطرق إلى مواضيع غير مناسبة بين الرجل والمرأة الأجنبية والمقصود بالمازحة والمفاكهة المحرّمة ما اشتمل على ما أشير إليه.

السؤال: ما هو الحكم في التعامل بطريق التسويق الشبكي عبر الأنترنت حيث يتم التسويق لمنتجات غير محرّمة لبعض الشركات الإنتاجية ويحصل المسوّق على عمولة في بيع كل سلعة وذلك برضى طرفي المعاملة وهل أن بذل العمولة يكون من قبيل الجعالة؟

الجواب: سماحة السيد لا يصحّح هكذا معاملة ويمكن الرجوع إلى الغير لتصحيحها مع مراعاة الأعلم فالأعلم.

السؤال: هل يجوز استخدام الشباب والشابات لوسائل التواصل الاجتماعي كتبادل الرسائل الألكترونية والتكلم مع بعضهم في الأنترنت وغيرها؟

الجواب: لا يجوز إلا مع الأمن من الانجرار إلى الحرام والمفسدة ولو بالانجرار إليها شيئاً فشيئاً وعليهم صدق النية ورعاية العفة والاحتشام والتجنب عن التصريح بما يستقبح التصريح به.

السؤال: ما هو الحكم الشرعي في المحادثة التي تتم عن طريق الأنترنت بين الشاب والشابة فقط كتابياً وليس صوتياً.

الجواب: لا يجوز مع خوف الوقوع في الحرام.

السؤال: يوجد في الأنترنت برنامج البالتوك الذي يضم مختلف الفئات التي تتناقش في مواضيع شتى. سؤالي لسماحتكم ما رأيكم بالتحدث بين الشباب (الفتيات والفتيان) في هذا البرنامج؟

الجواب: لا يجوز لما فيه من خوف الوقوع في الحرام.

السؤال: عندي خط أنترنت ولو أعطيت الجيران من دون علم المقهى ولا ضرر على المقهى ما هو رأي سماحتكم؟

الجواب: لا يجوز من دون إذن أصحاب الشركة.

السؤال: ما رأيكم في تكوين علاقات أو صداقات أو حب بين المرأة والرجل عبر الأنترنت؟

الجواب: لا يجوز.

السؤال: هل يجوز المحادثة الكتابية عن طريق الأنترنت (الدردشة) مع الولد أو البنت في الأمور الدينية أو النصح الاجتماعي أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع الثقة بعد الوقوع في الحرام؟

الجواب: لا يجوز مع خوف الوقوع في الحرام ولو بالانجرار إليه شيئاً فشيئاً قال تعالى: ﴿بَلِ الإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ - وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾.(القيامة: ١٤-١٥)

السؤال: هل العمل بمقاهي الانترنت جائز؟

الجواب: يجوز إلا أن يترتب عليه المفسدة.

السؤال: ما حكم المشاركة في المنتديات؟

الجواب: يجوز في حد ذاته وربما يعرض ما يوجب حرمته كما هو الحال في كل محادثة.

السؤال: يشاع اليوم الزواج عن طريق الانترنت سواء كان دائمي أو منقطع فما صحة هكذا زواج من ناحية الشريعة الإسلامية؟

الجواب: لا يصح بالكتاب على الأحوط، ويصح بالعقد اللفظي ولكن لابد من تعرف كل من الزوجين على الآخر لمعرفة تواجد الشروط. ومن شروطه إذن الولي إن كانت بكراً غير مستقلة، بل حتى المستقلة على الأحوط وجوباً.



السبيل الوحيد للخلاص من عـذاب يــوم القيامة

هنـاك آيـات عديـدة تثبـت أصـل الشـفاعة في القيامـة؛ كمـا أنّ هنـاك روايـات كثيـرة تؤكّـد هـذه الحقيقـة.

على هذا الأساس فإنّه من اللازم هنا:

أوّلاً: دراسـة ومناقشـة الطوائـف المختلفـة لآيات الشـفاعة كـي يتبيّن كون أصل الشفاعة حقّاً ولكي تتّضح حدودها (كمـا قد تمّ ذكـره بإجمـال في المباحث التفسـيريّة للآيـة مـع بيـان تفصيلـيّ لتعريـف الشـفاعة وماهيّتها).

ثانيـاً: التطـرّق إلى صفـات الشـافع والمشفوع له.

ثالثـاً: الإجابـة علـى الشـبهات والإشكالات المطروحة في بحث الشفاعة.

فآيـات الشـفاعة تنقسـم إلى ثلاث طوائف:

الطائفـة الأولى: تنفي الشـفاعة على نحـو مطلق، مثل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾. (البقـرة: ٢٥٤)

أمّـا الطائفـة الثانيـة: فهـي تنفـي الانتفاع من الشفاعة بالنسبة للمجرمين؛ نظـير الآية مـورد البحـث: ﴿ولا يُقبل منها شـفاعة﴾ وآيـات مـن قبيـل: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦) حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ (٤٧) فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾. (المدّثـر: ٤٢-٤٨)

والطائفـة الثالثـة: تؤكّـد أنّ تحقّـق الشـفاعة منـوط بـإذن الله تعـالى، فهي تسـتثني ما يـؤذّن به منهـا، نظير: ﴿...مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ...﴾ (البقـرة: ٢٥٥)، وقولـه: ﴿...مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ...﴾ (يونـس:٣)، والآية التي تقول في تعريفهـا للملائكـة: ﴿...يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى...﴾. (الأنبيـاء:٢٨)

فالمتمسّـكون بنفي الشـفاعة يقولون: مـن الجلـيّ أنّـه لا يمكـن إثبـات أحقيّة أصـل الشـفاعة مـن خـلال الطائفتيـن الأولى والثانيـة مـن الآيـات التـي تنفي أصل الشـفاعة أو تنفي نفعها، كما أنّه لا يمكن الاستدلال بالطائفة الثالثة؛ وذلك لأنّ الاسـتدلال بها سـوف يبتني على أنّ الاسـتثناء فيها هـو اسـتثناء حقيقة كي يكـون مقيّـداً لإطلاق الطائفتيـن الأولى والثانيـة، والحـال أنّـه يحتمـل أن يكون الاسـتثناء المذكور هـو من قبيـل تأكيد

النفـي، نظير ما قيل في آيـات من قبيل: ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسَى (٦) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ... ﴾. (الأعلى:٦-٧)

حيـث في الآيـة الأولى ليسـ أنّـه لم تُستثن مصونيّـة النبي صلـى الله عليه وآله وسـلم من النسـيان فحسب، بل إنّه تمّ التأكيد على مصونيّته منه أيضاً، وفي الثانيـة ليسـ أنّـه لا تشـوب خلـود أهل الجنّة فيها أيّ شـائبة فقط، بـل إنّه أكّد على خلودهم فيها؛ وذلك لأنّ الآية تكون بمعنى: إنّه لا سـبيل علـى الإطلاق أمام أصحاب الجنّة للخروج منها إلاّ أن يشاء الله، وما دام الله قد وعد بخلودهم فيها، فهو لـن يخلف الوعد.

وشـبيه بـه مـا يـدور في حواراتنـا العرفيّة حين يقول متولّي المسجد المتشرّع والمتعبّـد: (لا مجال لغـير المتطهّرين في هذا المسـجد إلاّ أن أشاء أنا) حيث يكون القصد: أنا فقط الذي يسـتطيع السماح لغـير المتطهّريـن لدخول المسـجد وإنّني لن أسـمح إلاّ للمتطهّرين بدخوله، حيث الاسـتثناء هنـا هـو بمثابـة التأكيد على المسـتثنى منه، وليسـ التقطيـع وإخراج شيء منه.

ومن المحتمـل أن تكون آيـات الطائفة الثالثة من هـذا القبيل أيضاً؛ أي أنَّها في مقام التأكيد على نفي الشفاعة، وفي هذه الحالة فإنّها ليس فقط لا تقيّد إطلاقات الطائفتين الأولى والثانية بل إنّها تشـكّل تأييداً لها وتأكيداً عليها أيضاً.

لعـلّ مـن الممكـن الإجابـة علـى الاحتمال المذكور بأنّ ذلك يكون تامّاً إذا كانـت الطائفـة الثانيـة في حكم الطائفة الأولى، أي أنّهـا تنفـي الشـفاعة بشـكل مطلـق والحـال أنّ الأمـر ليسـ كذلك؛ لأنّـه - كما مـرّ - فإنّ الآيـات التي تنفي منفعـة الشـفاعة لا تنحصر في آيات من قبيـل: ﴿ لا تنفعهـا شـفاعة ﴾ أو ﴿ لا يقبـل منها شـفاعة ﴾، بـل إنّ من جملة هذه الطائفة هي آية سورة (المدثّر) التي جـاء التعبير فيها بقولـه: ﴿ فما تنفعهم شـفاعة الشـافعين ﴾.

ومثـل هـذا التعبـير إنّمـا يظهـر وجود شـافعين في يـوم القيامـة وصلت شـفاعتهم إلى مرتبـة الفعليّـة فهـم شـافعون بالفعـل، كمـا أنّها تبـيّن كون شـفاعة هذه الجماعة ليسـ لها أيّ نفع لحـال كفّـار ومجرمـين معيّنـين.

بالطبع سـيطرح هنا السـؤال التالي: وهـو أنّ شـفاعة هـؤلاء بنفـع أيّ مـن الأشـخاص سـتكون؟

والجـواب: يكـون في الطائفـة الثالثة وهـو أنّ شـفاعة هـؤلاء إنّمـا تنفع الذي يكـون مرتضـىً عنـد الله جلّ شـأنه، أو مأذونـاً لـه مـن قبلـه، ومن يكـون دينه مرضيّـاً عند الله تعالى؛ وبتعبير آخر هو ذلك الشخص الذي تكون الشفاعة بحقّه مأذوناً بهـا من قبل الله عزّ وجلّ، ويكون كلام الشـفيع بحقّـه مرضيّـاً لدى الله: ﴿ ولا يشـفعون إلا لمـن ارتضـى ﴾، ﴿ يومئذ لا تنفع الشـفاعة إلا مـن أذن لـه الرحمن ورضـي له قولا ﴾.

بعـد هـذا البيـان فإنّـه سـيحصل تغيـير في النسـبة بين الطوائـف الثلاث مـن الآيـات؛ حيـث سـينخفض النفـي المطلـق للطائفة الثانية وسـتكون الرابط بـين الطائفتـين الأولى والثالثـة؛ بمعنى أنّـه بعـد أن نفـت الطائفـة الأولى أصل الشـفاعة نفيـاً شـديداً تأتـي الطائفة الثانيـة لتخفّف من هـذه الشـدّة قائلة: هناك شـفاعة وشـفعاء في الجملة إلاّ أنّ المجرمـين المكذّبين بالقيامـة محرومون من شـفاعة هـؤلاء، أمّا الطائفـة الثالثة فهـي تبيّن شـروط الشـافعين وشـروط المسـتفيدين من الشـفاعة.

فهناك وجـوه لحلّ التعارض المتوهّم بين أدلة الشـفاعة، نشـير هنا إلى الآراء المهمّة منها:

١. التعارض بلحـاظ الإيمان والكفر؛ أي أنّ أدلّة إثبات الشفاعة إنّما هي ناظرة إلى ثبوتهـا بحـقّ المؤمن الفاسـد، وأدلّة نفيهـا هي بحقّ غير المؤمنـين الذين هم أعمّ من الملحدين، والمشـركين، والكفّار، والمنافقـين، والنواصب، و... الخ.

٢. بلحـاظ الإذن وعدمـه؛ أي أنَّ أدلّة الإثبـات ترجع إلى الشـفاعة المأذون بها وأدلّة النفي راجعة إلى الشفاعة المستقلّة والفاقدة للإذن.

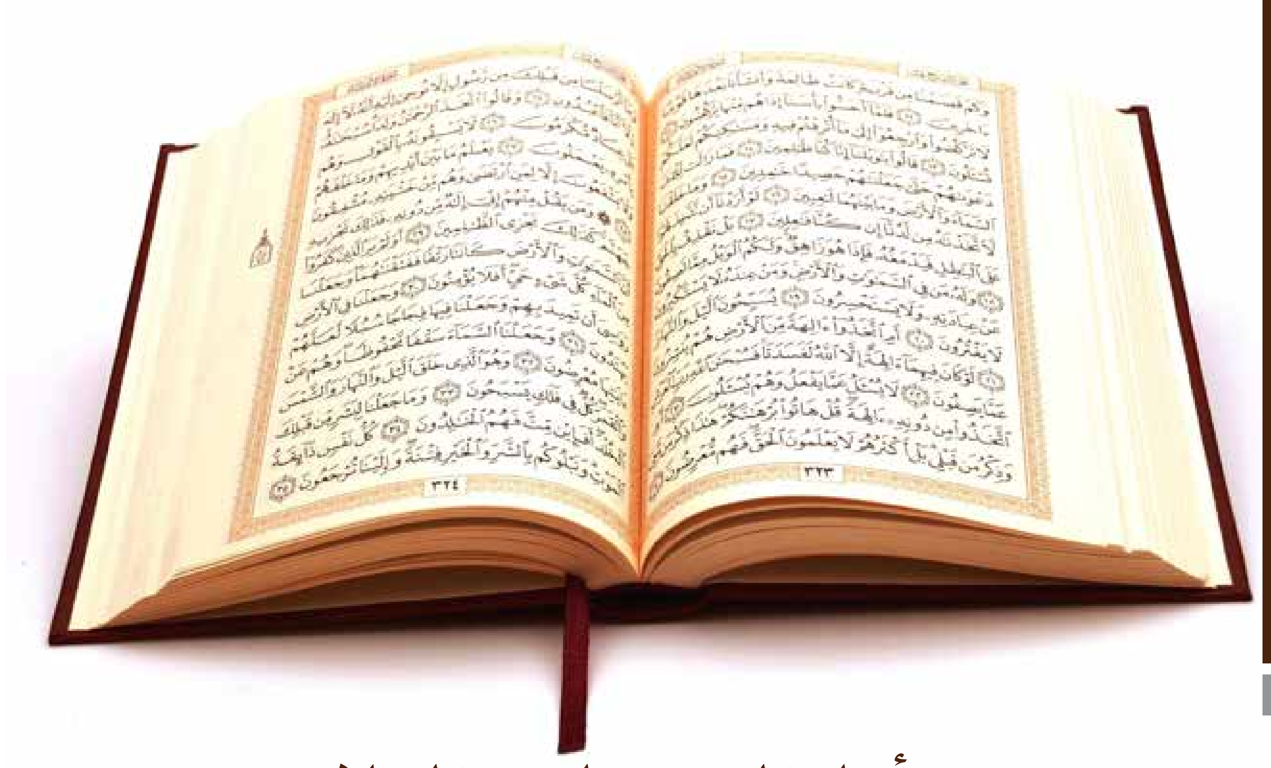
٣. مـن باب التحـوّل الباطني وعدمه؛ يعنـي أنَّ أدلّة الإثبات ناظـرة إلى المورد الذي يحصل فيه تحوّل في ذات المشـفوع له، وإن كان من خلال إفاضة أولياء الله، وأدلّـة النفي ناظـرة إلى المـورد الذي لا تحصـل فيه مثل هـذه الحالـة في باطن مثل هذا الإنسان.

٤. بلحـاظ مواقـف المعـاد المتعـدّدة؛ بمعنى أنّ أدلّـة الإثبات ناظرة إلى بعض مواقـف المعاد بينما تنظر أدلّة النفي إلى البعض الآخر منها.

٥. مـن ناحيـة زمـان المـوت وأحداث المعـاد؛ أي أنَّ أدلّـة الإثبـات ناظرة إلى مشهد المعاد وأدلّة النفي راجعة إلى حين الموت؛ كما سيُشـار إلى ذلـك في البحث الروائيّ.

والجمـع بين النفـي والإثبـات بلحاظ الاسـتقلال وكون الشفاعة مأذوناً بها هو مـن أفضل طرق الجمع بيـد أنّه لا ينافي في اختصاص الشفاعة بالتحوّل الباطنيّ في نفس المشفوع له، بل إنّها مناسبة له، على الرغـم من أنّ هذا التحوّل لا يحصل عن طريق الكسب الاختياريّ.

بقلم: الشيخ جوادي الآملي



دور أهل البيت عليهم السلام في القرآن

لآل الرسول صلّى الله عليه وآله دَورٌ خَطير في مُختلف شؤون القرآن الكريم، في تفسيره وتأويله، وتبيين معانيه، والإحاطة بمبانيه... كَدَورهم في حِفظه وضَبطه وحِراسته عن الضياع والتغيير طول عمر الإسلام.

كان الإمام عليّ عليه السلام رأسُ كَتَبَة الوحي، وأجْمَعهم للقرآن، وأعرَفهم بالتنزيل والتأويل، وأعلم الصحابة بمعاني القرآن والإحاطة بمَقاصده ومَراميه، وأحرصهم على حِفظه وحِراسته، شهد بذلك التأريخ وكُتُب الحديث.

وقد مضى شطرٌ من الحديث عن مواقف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، من القرآن الكريم في مختلف أطواره وأدواره مُنذ عهد الرسول صلّى الله عليه وآله فإلى آخر أيّام حياته الكريمة.

وكان عليه السلام مِثل النبيّ صلّى الله عليه وآله ومَثَله الظاهر، بل ونَفْسُه الكريمة، المتمثّل فيها شخصيّة الرسول الكاملة، سوى أنّه ليس بنبيّ... وقد قال له رسول الله صلّى الله عليه وآله:

«إنّكَ تَسْمَع ما أسْمَع، وتَرى ما أرَى، إلاّ أنّكَ لَسْتَ بنبيّ...». (الخطبة القاصعة:١٩٢)

ومعنى ذلك أنّه عليه السلام كان له ذلك الحسّ المُرهف الرقيق الذي كان يؤهّله للاستماع إلى الملأ الأعلى كما في الأنبياء عليهم السلام.

قال الإمام أبو جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام: «إنّ العِلم الذي نَزَل مع آدم عليه السلام لم يُرفع، والعِلم يُتَوارث، وكان عليّ عليه السلام عالم هذهِ الأمّة، وإنّه لم يهلك منّا عالمٌ قطّ إلاّ خَلَفه من أهله مَن عَلِم مثل عِلْمَه أو ما شاء الله...».

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّا – أهلُ البيت – شجرةُ النُّبوّة، ومَوضِع الرسالة، ومُختلَف الملائكة، وبيتُ الرحمة، ومَعدِن العِلم...». (الكافي:١/ ٢٢١)

نعم، إنّهم عليهم السلام فُروع تلك الشجرة الطيّبة

التي أصلُها ثابت - هو مقام النبوّة وموضع الرسالة... - وفرعها لا يزال يَتَصاعد في السماء، ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾، تُؤتي أُكُلها كلّ حين بإذن ربّها؛ يؤتي الحكمة مَن يشاء، ومَن يُؤتَ الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً....

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «إنّ لعليّ علماً بكتاب الله وسنّتي ليس لأحد من أمّتي، يَعْلَم جميع علمي؛ إنّ الله علّمني علماً لا يَعلَمُه غيري، وأمرني أنْ أعلّمه عليّا ففعلتُ...، وإنّ الله علّمه الحكمة وفَصْل الخطاب...».(كتاب سليم بن قيس:٧١)

ومن ثمّ كان باب علم النبيّ ومفاض حكمته. (مستدرك الوسائل:٣/ ١٢٤)

وقد علّمه ألفَ بابٍ من العلم ينفتح مِن كلّ باب ألف باب.(بحار الأنوار:٨٩/ ١٠٤)

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «وليس كلّ أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله كان يسأله فَيَفْهَم، وكان منهم مَن يسأله ولا يستفهم...، وكنت أدخل عليه كلّ يوم دخلة، فيخليني فيها أدور معه حيث دار.

وقد علم أصحاب رسول الله أنّه لم يكن يصنع ذلك بأحدٍ غيري...؛ إذا أسأله أجابني، وإذا سكتُّ أو نفدَت مسائلي ابتدأني، فما نَزَلَت عليه آية من القرآن إلاّ أقرأنيها وأملاها علَيّ، فكتَبْتُها بخطّي، ودعا الله أنْ يفهمني إيّاها ويحفّظني؛ فما نسيت آية من كتاب الله مُنذ حفظتها وعلّمني تأويلها، فحفظته وأملاه عليّ فكتبته...؛ ثمّ وضَع يده على صدري ودعا الله أنْ يملأ قلبي علماً وفهماً وفقهاً وحكماً ونوراً، وأنْ يعلّمني فلا أجهل، وأنْ يحفّظني فلا أنسى...».(كتاب سليم:١٠٦)

إذن، فلا غرو أنْ يكون عليه السلام أعْلَم الأُمّة بالقرآن تنزيله وتأويله....

أخرج ابن عساكر في تأريخه بالإسناد إلى أبي الطُفَيل قال: سَمِعْت عليّاً عليه السلام وهو يَخطب الناس، فقال: «يا أيها الناس! سلوني؛ فإنّكم لا تجدون أحداً بعدي هو أعلم بما بين اللّوحين منّي، فسلوني...».

وقد عقد ابن عساكر باباً ذَكَر فيه أنّه لم يقل أحدٌ على المنبر سلوني عن بين اللّوحين... إلاّ عليّ بن أبي طالب.(تاريخ دمشق:٢/ ٢٢، ح١٠٤٠)

والمراد بما بين اللّوحين ما بين دفّتيّ المصحف، كما في رواية أُخرى عنه قال: أقبل عليّ بن أبي طالب عليه السلام ذات يوم حتّى صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: «يا أيّها الناس! سلوني قبل أنْ تفقدوني، فو الله ما بين لوحيّ المصحف آية تخفى عليّ، فيما أُنزلت ولا أين نزلت ولا ما عُني بها...».(تاريخ دمشق:٢/ ٢٠، ح١٠٣٦)

قال أمير المؤمنين عليه السلام سلوني قبل أنْ تفقدوني، فو الله ما بين لوحيّ المصحف آية تخفى عليّ، فيما أُنزلت ولا أين نزلت ولا ما عُني بها، قال سُلَيم بن قيس الهلالي: (جَلست إلى عليّ عليه السلام بالكوفة في المسجد والناس حوله، فقال: «سلوني قبل أنْ تفقدوني، سلوني عن كتاب الله، فو الله ما نزلت آية من كتاب الله إلاّ وقد أقرأنيها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، وعلّمني تأويلها...».

فقال ابن الكوّا: فما كان ينزل عليه وأنت غائب؟ قال: «بلى، يحفظ عليّ ما غبت عنه، فإذا قدمت عليه قال لي: يا عليّ! أنزل الله بعدَك كذا وكذا فيُقْرِؤنيه، وتأويله كذا وكذا فيُعلّمنيه...».(كتاب سليم:٢١٢)

فقد كان صلّى الله عليه وآله وسلّم يحفظ على أمير المؤمنين عليه السلام ما فاته من نزول القرآن فيقرؤه إيّاها ويعلّمه تأويلها...؛ الأمر الذي يُنبئك عن مبلغ حرص النبيّ على تربية عليّ وتعليمه الكتاب والحكمة، ممّا لم يحظَ به غيره من الأصحاب...، ومن ثمّ كان أقرأ أصحاب النبيّ وأعلمهم بالتنزيل والتأويل، وأصبح مرجع الصحابة، سَواء على عهده صلّى الله عليه وآله وسلّم أم بعد وفاته.

يُحدّث أبو بكر بن عيّاش عن ابن مسعود أنّ رجُلَين على عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله قرءا آياً من سورة الأحقاف، فاختلفا في القراءة...، قال: فذَهَبْتُ بهما إلى النبيّ، فغضب، وعليّ عنده...، فقال عليّ: «رسول الله يأمركم أنْ تقرؤوا كما عُلّمتم...».(المناقب:٢/ ٤٢)

وعن زيد بن أرقم قال: جاء رجلٌ إلى رسول الله

صلّى الله عليه وآله فقال: أقرأني عبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت وأُبَي بن كعب، فاختلفت قراءتهم بقراءة أيّهم آخذ؟ قال: فسَكتَ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وعليٌّ عليه السلام إلى جَنبه، فقال عليّ عليه السلام: «ليقرأ كلّ إنسان كما عُلّم، كلّ حسن جميل».(تفسير الطبري:١/ ١٠)

وفي حديث عبدالله بن مسعود: إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله أسرّ إلى عليّ عليه السلام، فقال عليٌّ: «إنّ رسول الله يأمركم أنْ يقرأ كلّ رجلٍ منكم كما عُلّم...»، قال: فانطلقنا وكلّ رجل منّا يقرأ حروفاً لا يقرؤها صاحبه...

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد. (مستدرك الحاكم:٢/ ٢٢٣)

وفي رواية أبي جعفر الطَبَرَي بإسناده عن زرّ بن حبيش، عن ابن مسعود، قال: تمارينا في سورةٍ من القرآن...، فانطلقنا إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فوجدنا عليّاً يناجيه...، فقلنا: إنّا اختلفنا في القراءة...، فاحمّر وجه رسول الله صلّى الله عليه وآله وقال: «إنّما هلَك مَن كان قبلكم باختلافهم بينهم...»، ثمّ أسرّ إلى عليّ شيئاً، فقال لنا عليّ: «إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله يأمركم أنْ تقرؤوا كما عُلّمتم...».(تفسير الطبري: ١/ ١٢)

الأمر الذي يدلّك على مدى قُرب منزلة عليّ عليه السلام مِن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم كان موضعَ نجواه، ولسانَه الناطق بعلمه وبابَ حكمته... وهكذا شَهِد كِبار الصحابة شهادتهم بشأن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: (كان الرجل الأوّل في العهد الأوّل بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، كان موضع سرّه وعيبة علمه، كان أقرأهم لكتاب الله، وأحفظهم لآياته الكريمة، وأعلمهم بتفسيره وتأويله...).

فقد أخرج ابن عساكر بإسناده إلى شقيق، عن عبد الله بن مسعود، قال: إنّ القرآن أُنزل على سبعة أحرف، ما منها حرف إلاّ له ظهر وبطن، وإنّ عليّ بن أبي طالب عنده منه علم الظاهر والباطن...

وأخرج عن عبيدة السلماني، قال: قال عبد الله بن مسعود: لو أعلم أحداً أعلم بكتاب الله منّي تبلغه المطايا...، فقال له رجل: فأين أنت عن عليّ؟ قال: به بدأت، إنّي قرأت عليه.

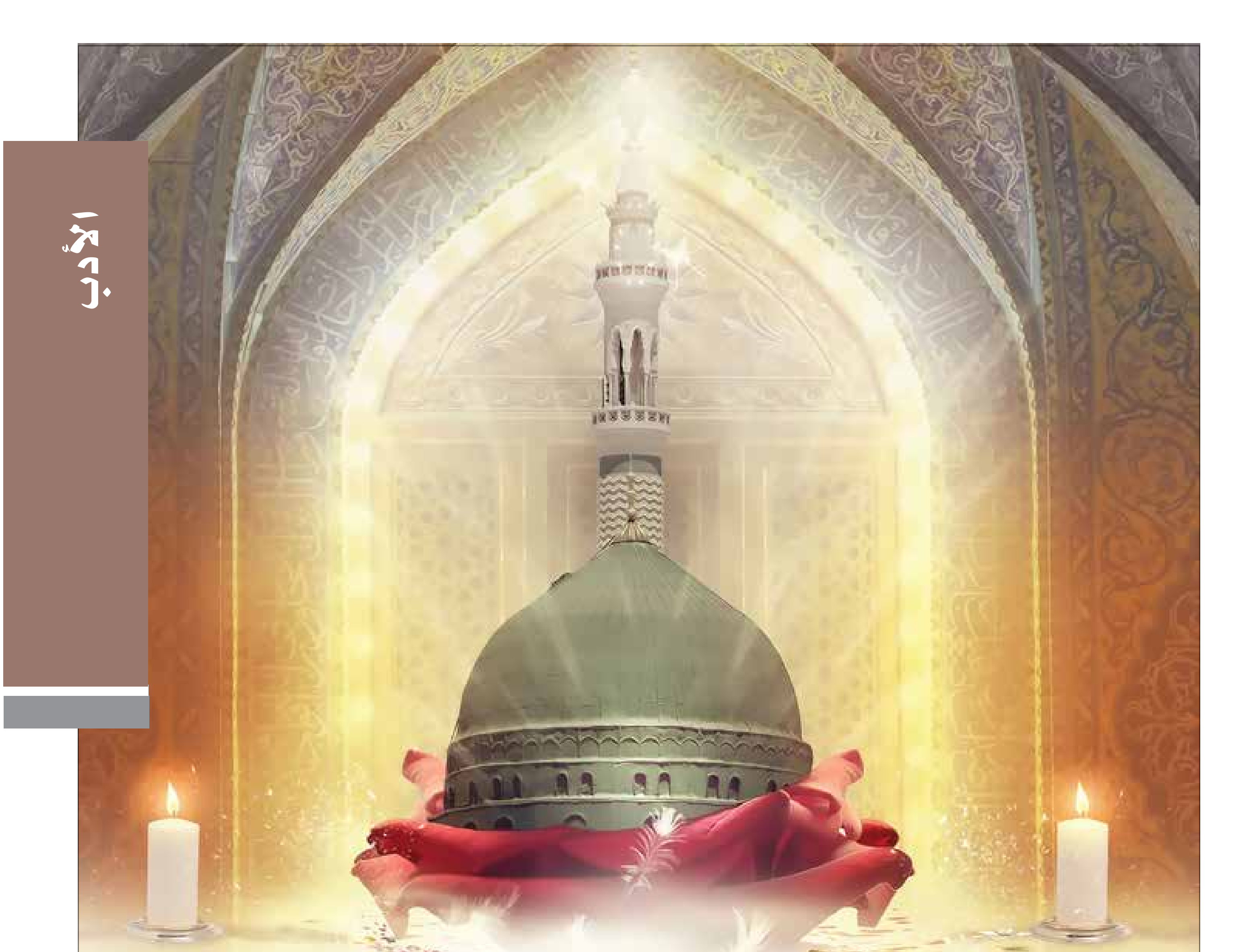


وعن زاذان عن ابن مسعود، قال: قرأت على رسول الله صلّى الله عليه وآله تسعين سورة، وختمت القرآن على خير الناس بعده، فقيل له: مَن هو؟ قال: «عليّ بن أبي طالب».(ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من تاريخ دمشق:٣/ ٢٥)

وأخرج أبو جعفر الطوسي عنه، قال: قرأت على رسول الله صلّى الله عليه وآله سبعين سورة من القرآن، أخذتها مِن فيه...، وقرأت سائر القرآن على خير هذه الأمّة و أقضاهم بعد نبيّهم، عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه.(أمالي الطوسي:٢/ ٢١٩)

وإذ ما عرفنا أنّ السِّوَر المكيّة لا تعدو ستّاً وثمانين سورة، نعرف الوقت الذي بدأ ابن مسعود في تعلّم القرآن من عليّ عليه السلام كان وقتاً مبكّراً يوم كان النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بمكّة قُبيل هجرته إلى المدينة أو بعدها بقليل... وهو وقت مبكّر جدّاً...

بقلم: الشيخ محمّد هادي معرفة



مولد النور

ذلكم هو في عالم الجلال الخاشع والبهاء الضارع، في جوار الله وسبحاته – معنى عظيم – يقود ركب المعاني العظيمة التي كانت قبل كل شيء لأنّها الأسمى، يعبد الله ويمجّده، ويبصر الزمان يطوي بما يجيش به من أحداثه، متربصاً حينه الذي يجعله الله فيه حقيقة ماثلة في واقع البشر، شمساً مشرقة في غمرات الليل الأيهم، وفيضاً محيياً في فيافي الجدب والخواء.

ذلك هو فلذة من كبد الكبرياء والتسامي، وشنجة من كيان المجد والفخار، حبا الله بها معمورته من لطف باهر وبرٍ غامر، فحلّت فيها كما تحل هذه النظائر من الخلق، ومشت على ركب الناموس، فاستقرت ماءً مهيناً في صلب، ثم نطفة أمشاجٍ في رحم، وأفصحت عظمة بالغة عن نفسها في هيئة إنسانٍ سوي، واستبان روح عُلْوي بإهاب مخلوق زكي، وتجسّد كمال أخّاذ ساحر في وليد بهي زاهر.

ذلكم هو في صفحة التقدير الحكيم كلمة سامية، وفي ذروة الاصطفاء الكريم نفس عالية، وفي علياء الحق وجه ساطع، وفي سجل الفضيلة عنوان لامع.

إنّه محمّد، مجمع المحامد والمفاخر، وربيع الفضائل والمآثر، شاهد الحكمة، وشهيد الأمة، سيّد النبيين، وخاتم المرسلين.

ضحكت أزاهير الشباب عباقة في ميعة العمر الندي الفينان لذلك الفتى الطاهر النجيب عبد الله.

والتمعت صفحة رجولته في عين أبيه شيخ قريش وسيّدها الذي غمرته حنيفية جدّه إبراهيم بسحرها العجيب خصالاً زاهرة، وسجايا باهرة، وخلقاً عظيماً، وطبعاً كريماً، فتألقت به في عليائها شموس الفضيلة والمعالي، تزينه أبراد

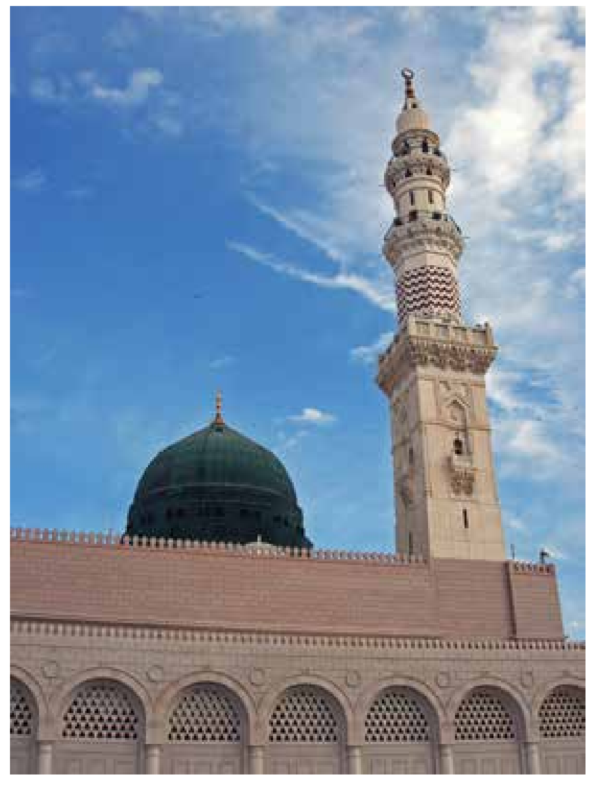
المكارم، وتحفّه هالـة التحميد والتمجيد. وراح عبد المطلب يجوب بباله اللمّاح أفضية المُثل والمحاسن التي ينشدها فيمن يختارها من بين هذه البيوتات الشامخة، زوجاً رضية لأثيره الحبيب عبد الله، لتضحك منها في دنياه مباهج السرور، وتنتشي بها حناياه بالبِشر الطافح، وينطلق معها في مسار الحياة على الدرب الممهدة بالهناء الوافر.

خيال شيخ البطحاء بات يحوم في سماء بني زهرة، ويحط في فناء وهب أبي تلك الفتاة الطاهرة التي ملأت أسماع الناس بالكلمات الحسان عن تلك السيرة الشرود، وذلك الجيب النقي، وتلك الروح الزكية الصافية التي تجسّدت صفحة ناصعة من المحاسن، لم تشبها مثلبة قط تحط من شموخها في ترفّعها عن الرذائل، أو تشين علو قدرها في نزاهتها عن الأدناس.

لَمَح الشيخ فاستبشر، وعزم على أن يسير على الطريق إليها، عسى أن تحتضن روضة القِران تسجيع بلبله وهديل الحمامة المرتقبة في حياة ناعمة ندية، وإنّه ليرى أنّ عمّها وكافلها لن يردّه عن ما تمنّاه، وكيف ذاك وعبد المطلب هو صانع مجد قريش، وباني صرحها، وسادن بيتها؟

ومضى عبد المطلب في أمره فما اعتوره فيه مانع، ولا وقفت في وجهه دونه العقابيل، وتمّ له ما أراد، وراح عبد الله ينعم في ظلال آمنة بالأنس والحبور.

وشاءت السماء منذ الأزل أن يحل في بطن هذه الفتاة طاهرة الذيل أعظم مخلوق عرفته الحياة، وها هو جنين تدب فيه إرادة الله رويداً، وما اضطم عليه الرحم ليتمخّض عند جديدٍ لم يكن شيئاً مذكوراً، بل كان شيئاً وأيّما شيء، كان كلمة بهية تزينت بها السماوات وإنّه ليقول: كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد.



ثم عاد يمشي في ركب الناموس، فينحدر في الأصلاب الطاهرة حتى يحل في غيهب البطن نطفة في رحم، حملته أمه أنساً وطيباً ولطفاً، لم يجشمها الذي تلقاه ذوات الأحمال، فما أرقّه في بطنها لكأنّه النسيم! وما أطيبه لكأنّه العبير! وإنّ آمنة الخير لتحدّث عن حملها به فتقول: لقد علقت به فما وجدت له مشقة حتى وضعته.

عبد الله الذي انطوت في صلبه أكرم لكمة، زوج صاحبة القرار المكين الذي حلّت فيه، يرى أنّه يكاد أن يملق، ويوشك أن تتفتح أكمام الإرادة عن وليده وهو معدم، فأولى له ثم أولى أن يسلك السبيل وإن كانت مستصعبة إلى الغنى وحسن الحال، فلا يفتح ابنه عينيه إلاّ في بيت رافل بالنعمى، فقام يسعى في تجارة إلى الشام أمّل أن يعود منها وقد فاز بالسهم الوافر والنعمة الغامرة، وليحتمل من أجل ذلك كل الأتعاب، فعمّا قريب يجيء وليده المأمول فتقرّ به العين، ويبتهج له الخاطر.

ومضى الرجل الطموح في تجارته، ونال منها ما تمنّى، فأزهرت أرجاؤه ببهجته، وشرع في العودة وهو يود أن لو كان طيراً فيسرع الأوبة إلى زوجه الزكية ليريها نضرة حاله ووفرة ماله، مرتقباً وإياها مطلع السراء من أفقها الوضّاء.

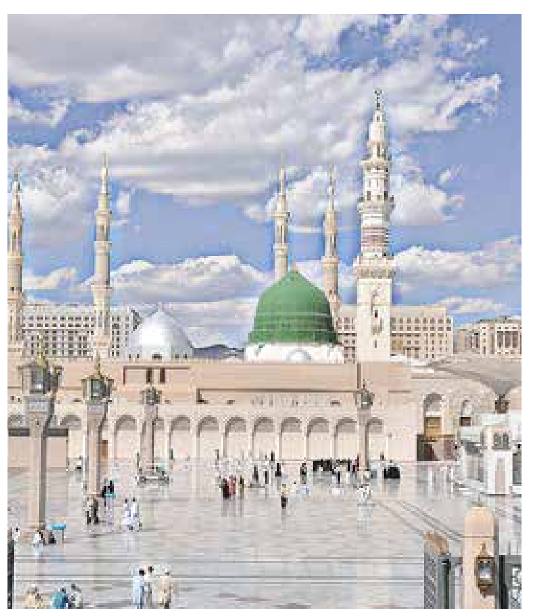
ولم يستكمل المحبور رحلة الإياب، فقد كان القدر يرصد له على الطريق عادية الردى، حتى إذا قاربه حلّ به فأسقمه، وألجأه إلى بني النجار في يثرب ليخترمه هناك، حيث ذوت مع الرجل الذي سطت به يد المنون فأبسلته كل ضحكات الآمال التي حفّ عليه السلام بها قلب آمنة الكبير، وغدا الجنين الذي ضمنّت عليه يتيماً، وانكسرت أمه التي حسبت أن سيعود بعلها الكريم بالخير، ويؤوب من رحلته بالنعمة،

فيتربص قليلاً بحاملة وديعته حتى تضعها بين يديه، لتغمر قلبه الذي أجهده السفر وأضنته الرمضاء بالبشر والدعة والحبور، فيغفو في حضن الرخاء قريراً آمناً.

مات عبد الله فهبّت في نفس أبيه وزوجه أعاصير الشجن، وتغشّتهما أسداف الهموم والآلام، فأبوه لم يزل يرعى خطواته، ويحصي أيامه، مؤمّلاً أن يراه ربّ بيت رفيع العماد، ذائع السداد، ينهج به الحنيفية على خطى أبيه الشيخ الكريم.

وهذه زوجه الأيكة العاطرة آلمها أن لا تراه في مديد عمره وقد غمرته بلذة التطواف في أكنافها، وأذاقته نشوة النعيم في أفيائها الحالمة، كلاهما تماثلا في لوعة الفقدان، وائتلفا في سطوة الأحزان.

وتمضي بالجنين أيام حمله إلى ساعة ميلاده، وتروح عين الخلود تحدث في تلك الدار من ديار أم القرى، حيث وليد آمنة يتنفس عن نسيم الحياة، فتمتلئ رئة الأم بالعبق، وناظرتاها بالسنا، وها هو يطوي لها الأبعاد، ويجمع لها الدنيا في قبضة كف، تحدثنا من كانت معها ساعة الميلاد عن عجب من الأمر حيرها، وعضّها بناب الدهشة: ما من شيء أنظره في البيت إلاّ نور، وإنّي أنظر إلى النجوم تدنو حتى أنّي أنظر إلى النجوم تدنو حتى أنّي لأقول: لتقعن عليّ.



لقد أطرب أمه مقدمه، وغمرها بالسمرة أمره، حتى كاد ينسيها لوعة الأمس بمصابها بعبد الله الذي افتقدت فيه فتى الأحلام، ولكن سرعان ما ألوت تعصف في أنحائها رعدة الأسى وهزة الحزن، وأحسّت بالترمل يعود جديداً، إذ أنجبت يتيماً سوف لن ترى له أباً يأنس به أنس أمه، ويشاطرها حبورها، وبعد أن يشنّف أذنيها بأنغام تهانيه لها بالوليد الحبيب، حيث لم يعمّر معها من رأت في ظلاله أطياف الهناء، وتوسّمت فيه معيناً للخير والرواء، إلاّ كفواق ناقة ثم فارقها، وأمسى ابنها هذا يتيماً، قد غربت عنه تلك النفس التي عجّت بها الآمال عنده، وتمنّت أن تراه وتذوق أهنأ العيش في مرآه.

حاولت آمنة أن تدفن الأسى في أعماقها، وأن تكتم أنفاس الشجا، ففعلت وما كادت، وأرسلت إلى جده الماجد فهبّ كأنّما صيح به عن نوم، وانتفض مسرعاً نحوه علّه يرى بين عينيه صورة العظيم الذي تعالت باسمه الصيحات على مرّ السنين، وصورة ابنه الراحل، وما كادت قدماه تحملانه، وما كان يظن أن سيصله ويتملّى برؤية جبينه، ولكنّه عجلان ما وصل، فاحتمل الصغير بين يديه، وأوسعه شمّاً وتقبيلاً، ثم غدا به على البيت العتيق يسأل من أعطاه أن لا يأخذه كما أخذ أباه بالأمس، وأن لا يفجع به أمه وجده، وأن يصونه ويرعاه، فلعل به أن ينطفئ الغليل، ويبل الصدى، وينقع جده الضامئ، وترتوي أمه الضاحية.

وطاف به حول البيت ذاهلاً عن دنياه في غمرات فرحته، وإنّ صوته ليعلو بالدعاء تارة وبالنشيد أخرى، حتى إذا اطمأنت نفسه عاد به إلى أمه التي أسلمته إلى ثويبة ترضعه، متربصة به مجيء المرضعات من البادية لتعطيه أمه إحداهن، فتخرج به إلى دنيا الطلاقة والصفاء، ليلدا لهذا الصغير لساناً نقياً، وجسماً صحيحاً، وقلباً نابهاً، ولباً راجحاً، ولم ينس الشيخ أن يملأ سمع حاضنته أم أيمن بوصيته به خيراً: يا بركة لا تغفي عن ابني هذا، إنّ أهل الكتاب يزعمون أنّ ابني هذا نبي هذه الأمة.

فلما مضت أيامه السبعة عقّ عنه، ودعا قريشاً لوليمته، حتى إذا احتشد سامرهم، وندت أفواههم عن كلمات التبريك وعبائر التهنئة والدعاء بالسلامة، وهمّوا أن ينفّضوا، انطلق صوت إلى سمع الشيخ: أرأيت ابنك هذا الذي أكرمتنا على وجهه ما سمّيته؟ سمّيته محمّداً. فلِمَ رغبت به عن أسماء أهل بيته؟ أردت أن يحمده الله في السماء، وخلقه في الأرض.

بقلم: السيد فاضل الموسوي



التربية من خلال اللعب

اللعب هو ذلك العمل المصحوب بالحركة والنشاط وبذل الجهد والطاقة حيث يشغل اللعب حيزاً مهماً في حياة الطفل ويرتبط بتربيته ارتباطاً وثيقاً.

ويعتبر اللعب عاملاً مهماً للطفل في بنائه جسمياً ونفسياً وعقلياً واجتماعياً، ويمنحه الكفاءة والخبرة والقوة والمهارات، في مراحل نشأته المختلفة ويفتح له باب الإبداع خصوصاً عندما يدرك الآباء والمربون أن اللعب يمكن استثماره جيّداً لتنتج عنه شخصية متكاملة وسوية للطفل.

أهمية اللعب

للعب دور كبير في حياة الأطفال والتعبير عن المشاعر حيث يحتل مساحة واسعة في حياتهم وعالمهم، لأنه الأداة التي يستطيع بها الطفل أن يعبّر عن ذاته، ويتعلّم الاتصال مع الآخرين والتفاعل مع الموجودات، لذلك يؤكد علماء النفس والتربية أن للصغار عملاً يقومون به، وهو اللعب، فعن طريقه يكتشفون العالم ويتعلمون كل ما تحتاجه الحياة، لذلك يُعدُّ حاجة ضرورية لنموهم وتكوين قدراتهم الجسدية والعقلية والنفسية، وخلق أجواء المتعة في نفوسهم، ويمكن لنا أن نختصر الكلام بأن اللعب ليس مضيعة للوقت وهدراً للحياة كما يعتقد البعض، بل هو حاجة ضرورية.

إن اللعب يساعد على نمو الطفل في جميع النواحي الجسمية والمعرفية والانفعالية والاجتماعية، كما يساعد على التخلص من انفعالاته وصراعاته، وعلى إعادة التكيّف مع العالم المحيط به، أهم الوظائف التي يحققها اللعب هي:

١. الناحية الحركية

يقوم اللعب بأداء دور مهم وضروري على مستوى النشاط الحركي، فاللعب عندما يخضع للتنظيم الملائم، فإنه يساعد على نمو الأشكال المختلفة للنشاط الحركي عند الطفل، ومن خلال اللعب يستوعب المهارات الحركية المعقّدة ويعمل جاهداً على تحسينها.

(بعد الأشهر الأولى من الحياة نرى الطفل الرضيع يبدأ بتحريك يديه ورجليه، يحاول اللعب بما تصل إليه يده، ومع نمو قدراته تنمو قدرته على اللعب بالأشياء التي حوله:

أدوات المنزل، الكرسي، الدمى، الألعاب... مستخدماً كل ما لديه من حواس وأعضاء وأجهزة، لاستكشاف محيطه وما فيه من ألوان وأشكال وأصوات.

بعد الثالثة تزداد قدرات الطفل الجسدية، فيصبح قادراً على الركض والقفز والتسلق، والرسم... وهذا ما يتيح له الفرصة لاستكمال قدراته الجديدة في أحب شيء لديه وهو اللعب).

(فبعض المهارات الحركية ينبغي أن يتخذ طابعها المتكامل في الأشهر والسنين الأولى مثل: الزحف، الجلوس، الوقوف، المشي وما إليها وبعضها الآخر يختبرها الطفل في السنين اللاحقة من حياته). (علم نفس اللعب:١٣٥)

٢. الناحية المعرفية

يقوم اللعب بدور كبير في نمو النشاط العقلي والمعرفي للطفل، حيث يكتشف الألعاب التي تُجلَب إليه، فمن خلال ممارسة اللعب سيتعرف على الأشكال والألوان والأحجام وغيرها فاللعبة تثير في داخله روح استكشاف ما يدور حوله.



(ويمكن القول إنه كلما جمع الطفل معلومات من خلال لعبه الاستطلاعي، كلما ازداد اكتمال الصور الذهنية عن اللعبة التي يستخدمها كذلك كلما كانت اللعبة أكثر تعقيداً، كلما ازدادت فرص جمع المعلومات عنها، ازدادت بالتالي اهتمامات الطفل بها؛ وهو يؤدي إلى تنمية القدرات والخبرات المعرفية، والإبداعية عند الطفل).(علم نفس الطفل النمو النفسي والانفعالي للطفل: ١٤٣)

ومن هنا أظهرت الدراسات الحديثة في ميدان الطفولة: (أن للعب إسهامات واضحة في نمو الأطفال وبناء شخصياتهم، ويمكّنهم من اكتساب قيم ومهارات واتجاهات ضرورية للنمو الاجتماعي السليم، كما يساعد على ضبط الانفعالات والتنفيس عن كثير من مخاوف الطفل).(ما لا نعلّمه لأولادنا: ٢٢٢)

٣. الناحية الانفعالية

يقوم اللعب بتهيئة فرص التحرر عند الطفل واستقلاله من الأوامر والنواهي والالتزامات، والإحباط، لكي يعيش حياته كما يرغب أن يعيشها بأحداثها المرسومة. (فاللعب في هذه المرحلة يؤدي إلى تفريغ الشحنات الانفعالية والمشاعر المحيطة التي يعاني منها الطفل والتي لم تَلقَ إشباعاً لها في الواقع؛ وبذلك يحقق الطفل ذاته وقدرته وسيطرته على البيئة من خلال اللعب).(علم نفس الطفل: ١٤٤)

٤. الناحية الاجتماعية

يؤدي اللعب دوراً أساسياً في نضوج الطفل اجتماعياً، فمن خلال لعبه مع الآخرين سيتعلم التعاون والمشاركة واكتساب مكانة مقبولة داخل المجتمع، وإذا انخرط داخل المجموعة في أنشطة اللعب الجماعي ستخف أنانيته ونزعة التمركز حول ذاته.

ففي أجواء اللعب يشعر بضرورة التضامن مع الآخرين لكسب المعركة، كما يتعرف كيف يصدر الأمر، والاستجابة للتوجيهات.(علم نفس الطفل: ١٤٥)

إن الأطفال ومن خلال تقليد الكبار أثناء اللعب لا يتمرسون في السلوكيات الاجتماعية فقط، بل تتوفر لديهم فرصة الإصلاح وتوسيع أنماطهم السلوكية، فمن خلال اللعب الجماعي يكتسب الطفل الجرأة على الانضمام إلى المجموعة وتعلم أساليب التعايش مع المجتمع ومواجهة المشاكل عبر طرق سليمة للحل.(علم نفس اللعب: ١٩١)

أنواع اللعب عند الأطفال

هناك أنواع من الألعاب المؤثرة في حياة الطفل، من حيث أشكالها ومضامينها، تتوقف في تنوعها على

خصائص ومستويات النمو عند الأطفال في المراحل المختلفة من أعمارهم، ويمكن أن نصنف اللعب عند الأطفال إلى الأنواع التالية:

أولاً: اللعب الاستطلاعي

هو من أول أنواع اللعب المعتمدة على التنظيم الإدراكي للخبرات الحسية، حيث يبدأ الطفل أولاً بعملية إدراك الشكل بصورة بارزة.

(إن أول ما يجذب انتباه الوليد هو عناصر بسيطة في المجال الحسي يستجيب لها كأشكال محددة لا معنى لها ثم تنمو بعد ذلك قدرته على إدراك الأشكال الأكثر تعقيداً). (تربية وتعليم الطفل من خلال اللعب)

إن الأشكال المتغيرة في الشكل والحركة أكثر من الأشياء الثابتة والمستقيمة، والملل والحيرة هما يدفعان بالطفل إلى البحث والاستكشاف الجديد ويثيرانه إلى حب الاستطلاع: (إن الطفل من خلال لعبه يكشف عن شخصيته فيتبيّن هل هو قائد أو مقود، صبور أم عجول، هادئ أم حاد المزاج، نشيط أم كسول، ضعيف أم قوي، كفوء أم فاشل، قلق أم مستقر، عدواني أم مسالم، وهل يحمل أفكاراً جميلة أم لا...). (دور الأب في التربية: ١٧٠)

ثانياً: اللعب التخيلي أو الإيهامي

وهو لعب شائع عند الأطفال ففيه يتعامل الطفل من خلال اللغة أو السلوك الصريح مع المواد أو المواقف وكأنها تحمل خصائص أكثر مما هي في الواقع، ويعتمد هذا النوع من اللعب على الخيال الواسع، مثل مداعبة الطفلة لعروسها وكأنها ابنتها؛ تضربها تارةً وتأمرها تارةً أخرى، ومثل تمثيل الولد دور والده في قيادة السيارة.

(ويحقق اللعب الإيهامي وظائف كثيرة: فهو ينمي قدرة الطفل على تجاوز الواقع والغوص في الخيال، مما يساعد على تنمية التفكير الابتكاري، ويمكّن الطفل من تحقيق رغباته وحاجاته بطريقة تعويضية، مما يخفف القلق والتوتر عنده، ويسود هذا النوع من اللعب ما بين (٢-٤) سنوات). (ما لا نعلّمه لأولادها: ٢٢٨)

(إن الطفل في هذه المرحلة يقضي معظم أوقاته في اللعب الإيهامي، وهذا النوع من اللعب يؤدي دوراً هاماً في النمو المعرفي، والاجتماعي للطفل، ويكشف أيضاً عن خبايا كثيرة في حياة الطفل النفسية). (علم نفس الطفل: ١٤٦)

ثالثاً: اللعب الإنشائي أو التركيبي

ويعتمد هذا النوع من اللعب على التركيب البنائي، حيث يقوم الطفل بجمع الأشياء وتركيبها بشكل معيّن، مثل جمع المكعبات وإنشاء بيت أو مزرعة...، واللعب بالطين والرمل ومواد القص واللصق والطباشير، وصنع أشكال متعددة، مثل: الجبال وعمل الأنهار واستخدام السيارات والطائرات والسفن لإنشاء أشكال معينة، (ويستخدم هذه المواد لعمل أشياء لها معنى محدد، وهذا النشاط يتضح لدى الطفل منذ سن الثالثة حينما يبدي رغبته في أن يقوم بجمع الأشياء التي تثير اهتمامه في موقف معين.



ولكن منذ سن السادسة ينزع الطفل إلى القيام بنشاط جمع الأشياء الأكثر تعقيداً مع انتقائه لأشياء متعددة، وفي كل هذه الأشكال المختلفة، يتصف اللعب التركيبي باستثارة القدرات العقلية للطفل). (علم نفس الطفل: ١٤٨)

يلعب الطفل من مرحلة الرضاعة إلى سن الثالثة لعباً فردياً استجابة لحاجة الطفل ورغبته، وفي سن (٣-٤) سنوات يلعب الطفل بنفسه مع نفسه ومع الآخرين في بعض الأحيان (ولكن لا يوجد أثرٌ للمنافسة ولا للتعاون). ثم يبدأ الطفل بالتدرج بجمع أصدقاء للعب، ومن هنا تظهر الأهمية الاجتماعية للعب، حيث يتعلم بعض العادات الاجتماعية كأصول اللعب، ومراعاة الآخرين، واحترام أفكارهم، ويتعلم روح التعاون، ويكوّن صداقات جديدة ويتعرف على الميزات الاجتماعية التي تتخلل اللعب، ويقال لعبه مع نفسه، وينفصل لعب الذكور مع الإناث. (تربية وتعليم الطفل من خلال اللعب: ١٥)

وترى هايدة موثقي: (أن الطفل يألف بواسطة التعاون مع أعضاء المجموعة، ويكتسب طابع احترام القوانين والضوابط والمبادئ الاجتماعية والانصياع لها، كما ويطّلع

علـى آراء وميـول الآخريـن، ويتعلـم منهم الاحـترام وتقبّل الاقتراحـات المنطقيـة، وبعد مرحلـة التعرف على المشـاكل الجماعيـة والصراعـات الداخليـة في المجموعـة، يتنامـى الوعـي الاجتماعي لـدى الطفل مما يعده لتقبل المسـؤوليات الاجتماعيـة الكبيرة.(علـم نفسـ اللعب: ٢٩٢)

الألعاب وأدوات الأطفال

إذا كان الطفل بين ١-٦ أشهر

يجـب أن تكـون لعبـة الطفل كبيـرة الحجم، غير هشـة، خالية من أي أنواع الطلاء الذي يحتوي على المواد الكيمياوية أو الضارة.

ويمكـن اختيار هذه الألعاب: قطع متحركة تعلق في سـقف الحجرة فـوق (المهد) كالبالونات وغيرها مختلفة الأشـكال يستطيع الإمساك بها.

إذا كان الطفل بين ٦- ١٢ شهراً

يمكـن اسـتخدام الألعـاب الليـنة كالمطـاط أو القماشـ، ألعاب خشـبية أو بلاسيتيكية على أشـكال الحيوانات، يمكن شـراء (لعبة الهاتف) لأنه يسـاعده على النطق، وفي المرحلة التي يحاول بها المشي يجب تشجيعه على اللعب بالألعاب التي تجري على الدواليب.

إذا كان الطفل في السنة الثانية

يمكـن اسـتخدام عربـات ولعـب تتحـرك علـى عجلات يسـتطيع جرهـا أو دفعهـا، أواني طبـخ كأكـواب وملاعـق بلاسـتيكية، ألعـاب تعتمد على التأليف بـين الألوان، ألعاب يمكن نزعها وتركيبها، عربة ذات أربع عجلات، كراسـ فيه ملصقـات لصـور محببة وغـير معقّدة، كرة ملونـة، ألعاب الماء (رشاشـات، أنابيب مطاطية، أوانٍ)، نماذج سـيارات بغير محرك.

إذا كان الطفل في السنة الثالثة

في هـذا العمر يكـون الطفل كثير الحركة بحيث يسـتطيع فتح الأبـواب وفك أغطيـة الأواني، فعليه يتـم اختيار ألعاب تنمي هذه القدرة بشـكل سليم، فيمكن شراء مكعبات ويمكن تثبيـت بعضهـا ببعضـ، أواني طبـخ أو أطقم شـاي، تلفون، مكواة، أقلام وألواح وطباشـير وكراسـات، ورق.

ففي هذه السـن تبدأ الرغبة في تشـكيل الأشـياء والرسم والتصويـر، وأدوات حديقـة، آلات مناسـبة لهـواء الطلق كالدراجـة ذات العجـلات الأربـع، فراشـ للعروسـ أو بيت الدميـة فإنه يسـاعده على تنميـة الخيال.

إذا كان الطفل في السنة الرابعة

يمكن اسـتخدام مكعبات أكبر حجماً وأكثر عدداً، دراجة، أدوات رسـم وشـمع، ألعـاب قفـز، وتسـلّق وركض، مجلات وقصص واقعية إنسانية وخيالية، لعب تعلمه الأرقام، وبعض الكلمات البسـيطة، وعربات نقل وأدوات بناء للصبيان.

إذا كان الطفل في السنة الخامسة

المكعبـات، الدراجـة، لعـب مكونة مـن عدة أجـزاء يمكن فكها وتركيبها، ألعاب الحروب للصبيان والدمى والعرائسـ للبنـات، أرجوحـة، سـلم تسـلق، أدوات مهاريـة كالخياطة للبنـات، والنجارة للفتيان، سـماع الحكايـات والقصص.

إذا كان الطفل في السنة السادسة

بالإضافة إلى الألعـاب المتقدمـة في السـنة الخامسـة، يضـاف ألعاب بهلوانية، الكرة، حبل القفز، وأيضاً مسـاعدة الأم في المنزل.

إذا كان الطفل في السنة السابعة

لعبـة السـهم، ألعـاب الكرة، مسـاعدة الأهـل في المنزل، النزهـات، الكتب المسـلية والمضحكة، أشغال يدوية، طائرات الورق، تصميم الأزيـاء للبنات، التمثيل.

إذا كان الطفل في السنة الثامنة

ألعـاب جماعية، جـري ومصارعة ومطـاردة، ألعاب كرة، سـباحة، ألعاب صعبة، بداية الاهتمـام للطبخ عند الفتيات، ألعـاب كـرة وأجهـزة علميـة، ألعاب تسـاعد علـى المهارات اليدويـة والعقليـة، طيارات الـورق، ألعـاب ميكانيكية.

إذا كان الطفل في السنة التاسعة

ألعـاب المباريـات، ألعـاب جماعيـة من جـري ومصارعة مطاردة، كـرة، دراجة، قوارب شـراعية، تزلج على الجليد، قبقـاب ذو العجـل، السـباحة، دمـى للبنـات، جمـع الصور والقصاصـات، الاهتمـام بالخرائط.

إذا كان الطفل في السنة العاشرة

بالإضافـة إلى مـا تقـدم مـن الألعـاب الاجتماعيـة المختلفـة، يضـاف إليهـا: النزهـات، السـينما، التمثيـل، الأنشـطة الرياضيـة المختلفة.(تربيـة وتعليـم الطفـل من خـلال اللعـب:٢٠٦)

بقلم: علاء الفاضلي



أصحاب الإمام المهدي عليه السلام الخاصّون الثلاثمائة والثلاثة عشر

وهم الذين حازوا درجات الثناء والمدح في لسان القرآن الكريم والسنّة المباركة، ومرّ ذكر صفاتهم ومقاماتهم عند اللّه سبحانه وتعالى.

هم أوّل مَنْ يبايعون المهدي بين الركن والمقام، وهم الذين يشكّلون أركان جيش الإمام، والقيادات الميدانيّة والحكّام الذين يديرون الدولة العالميّة العادلة، فلهم من الكرامات ما يؤهّلهم للقيام بهذه المهمّة الكبيرة.

رهبان الليل وفرسان النهار

يصفهم أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً: «كأنّهم ليوث قد خرجوا من غاب، قلوبهم مثل زبر الحديد، لو أنّهم همّوا بإزالة الجبال الرواسي لأزالوها عن مواضعها، فهم الذين وحّدوا اللّه حقّ توحيده، لهم بالليل أصوات كأصوات الثواكل خوفاً، وخشيةً من اللّه تعالى، قوّام الليل، صوّام النهار، كأنّما ربّاهم أب واحد وأمّ واحدة، قلوبهم مجمعة بالمحبّة والنصيحة». (إلزام الناصب: ٢/١٧٤)

علاقتهم وحبّهم للإمام عليه السلام

يصفهم الإمام الصادق عليه السلام في قوله: «...يتمسّحون بسرج الإمام عليه السلام، يطلبون بذلك البركة، ويحفّون به يقونه بأنفسهم في الحروب ويكفونه ما يريد...». (بحار الأنوار: ٥٢/٣٠٨)

وهؤلاء ينقسمون إلى قسمين:

القسم الأوّل: وهم الأحياء الذين تكتمل عدّتهم قبل قيامه عليه السلام، حيث يخرجهم اللّه من أصلاب آبائهم وهم الذخائر والودائع الذين اختارهم ليكونوا من أنصار صاحب الزمان عليه السلام.

فعن إبراهيم الكرخي، قال: قلت لأبي عبد اللّه عليه السلام: أصلحك اللّه، ألم يكن عليّ عليه السلام قويّاً في دين اللّه عزّ وجلّ؟ قال: «بلى»، قال: فكيف ظهر عليه القوم، وكيف لم يدفعهم وما منعه من ذلك؟ قال عليه السلام: «آية في كتاب اللّه عزّوجلّ منعته». قال: قلت: وأيّ آية هي؟ قال: قوله تعالى: ﴿ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴾ (الفتح/٢٥) إنّه كان للّه عزّ وجلّ ودائع مؤمنين في أصلاب قوم كافرين ومنافقين، فلم يكن عليّ عليه السلام ليقتل الآباء حتّى يخرج الودائع، فلمّا خرجت الودائع ظهر على من ظهر فقاتله، وكذلك قائمنا أهل البيت لن يظهر أبداً حتّى تظهر ودائع اللّه عزّ وجلّ، فإذا ظهرت ظهر على من ظهر فقتله». (علل الشرائع: ١/١٤٧)

والقسم الثاني: وهم الأموات الذين يبعثهم اللّه من قبورهم وهم مَنْ مَحَض الإيمان محضاً وهم صنفان:

الصنف الأوّل: هم المسجّلون من أنصاره وقد ولدوا ثمّ ماتوا ولكن يبعثهم اللّه في جيشه.

فعن المفضّل بن عمر، قال: ذكرنا القائم عليه السلام ومَنْ مات من أصحابنا ينتظره فقال لنا أبو عبد اللّه عليه السلام: «إذا قام أُتي المؤمن في قبره فيُقال له: يا هذا، إنّه قد ظهر صاحبك فإن تشأ أن تلحق به فالحق، وإن تشأ أن تقيم في كرامة ربّك فأقم». (الغيبة للطوسي: ٤٥٩)

وعن أبي عبد اللّه عليه السلام في تأويل قوله تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَى وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (النحل/٨٣) قال: «لو قد قام قائمنا بعث اللّه إليه قوماً من شيعتنا قبايع سيوفهم على عواتقهم، فيبلغ ذلك قوماً من شيعتنا لم يموتوا فيقولون: بُعث فلان وفلان من قبورهم مع القائم». (تفسير العيّاشي: ٢/٢٥٩)

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «العجب كلّ العجب بين جمادى ورجب»، فقام رجل وقال: يا أمير المؤمنين، ما هذا العجب الذي لا تزال تتعجّب منه؟ فقال عليه السلام: «ثكلتك أمّك وأيّ عجب أعجب من أموات يضربون كلّ عدوّ للّه

ولرسوله ولأهل بيته، وذلك تأويل هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ (الممتحنة/١٣)». (بحار الأنوار: ٥٣/٦٠)

وربّما تفيد بعض الروايات أنّه يمكن للمؤمن السعي حتّى يكون من المسجّلين في قائمة الأنصار ولا يكون ذلك إلاّ بالإيمان المحض والتقوى والتسليم لأمر أهل البيت عليهم السلام والعقيدة الراسخة بقيام الإمام والدعاء في ذلك حتّى يكون من الأنصار، فقد ورد في الرواية عن الصادق عليه السلام أنّه قال: «من دعا إلى اللّه أربعين صباحاً بهذا العهد كان من أنصار قائمنا، فإن مات قبله أخرجه اللّه من قبره وأعطاه بكلّ كلمة ألف حسنة ومحا عنه ألف سيّئة». (المزار للمشهدي:٦٦٣)

وقد وردت عبارة في الدعاء المذكور تؤكّد ما جاء في الرواية وهي: «اللّهُمَّ اجْعَلْني مِنْ أَنْصارِهِ وَأَعْوانِهِ... اللّهُمَّ إِنْ حالَ بَيْني وَبَيْنَهُ الْمَوْتُ الَّذي جَعَلْتَهُ عَلَى عِبادِكَ حَتْماً مَقْضيّاً فَأَخْرِجْني مِنْ قَبْري مُؤْتَزِراً كَفَني شاهِراً سَيْفي مُجَرِّداً قَناتي مُلَبِّياً دَعْوَةَ الدّاعي...». (ينظر: المزار للمشهدي: ٦٦٣)

الصنف الثاني: فإنّ اللّه يبعث في الرجعة أقواماً كانوا في زمان سابق على الإسلام وكذا في صدر الإسلام – مثل أصحاب الكهف، وبعض أصحاب عيسى، وبعض الأنبياء، وبعض أصحاب رسول اللّه وأمير المؤمنين وأصحاب الإمام الحسين في كربلاء... فعن الأصبغ بن نباتة في حديث طويل عن أمير المؤمنين عليه السلام قال فيه عن قيام أهل الكهف مع المهدي عليه السلام : «فيبعث اللّه الفتية من كهفهم مع كلبهم، منهم رجل يقال له مليخا، وآخر خملاها، وهما الشاهدان المسلمان للقائم عليه السلام». (بحار الأنوار: ٥٢/ ٢٧٥)

وعن المفضّل بن عمر، قال: قال لي أبو عبداللّه عليه السلام : «يا مفضّل، أنت وأربعة وأربعون رجلاً تحشرون مع القائم، أنت على يمين القائم تأمر وتنهى، والناس إذ ذاك أطوع لك منهم اليوم». (دلائل الإمامة: ٤٦٤)

وعن الصادق عليه السلام قال: «ويقبل الحسين في أصحابه الذين قتلوا معه، ومعه سبعون نبيّاً كما بُعثوا مع موسى ابن عمران، فيدفع إليه القائم الخاتم، فيكون الحسين عليه السلام هو الذي يلي غسله وكفنه وحنوطه ويواريه في حفرته». (مختصر بصائر الدرجات: ٤٨)

وعن المفضّل بن عمر، عن أبي عبداللّه عليه السلام قال: «إذا قام قائم آل محمّد استخرج من ظهر الكعبة سبعة وعشرين رجلاً؛ خمسة عشر من قوم موسى الذين يقضون بالحقّ وبه يعدلون، وسبعة من أصحاب الكهف، ويوشع وصي موسى، ومؤمن آل فرعون، وسلمان الفارسي، وأبا دجانة الأنصاري، ومالك الأشتر» (تفسير العيّاشي: ٢/ ٣٢) فيكونون بين يديه أنصاراً وحكّاماً.

وهذا الأمر من أعجب العجب كما ذكره أمير المؤمنين «العجب كلّ العجب بين جمادى ورجب» ثمّ قال: «وأيّ العجب أعجب من أموات يضربون كلّ عدوّ للّه ولرسوله ولأهل بيته».

لماذا؟ لأنّ ضعاف الإيمان والعقول لا يعتقدون برجوع الأموات إلى عالم الدنيا لجهلهم بقدرة اللّه سبحانه وتعالى، كما ذكر اللّه سبحانه في كتابه: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لاَ يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾. (النحل/ ٣٨)

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾.

وموضوع الرجعة ثابت في العقائد الإماميّة وقد تناولها العلماء في كتبهم بالتفصيل، مثل «الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة» للحرّ العاملي، و«حقّ اليقين» للسيّد عبداللّه شبّر، وكتاب (الرجعة) للاسترآبادي، وغيرها.

وهنالك مراتب ودرجات وتصنيفات للأصحاب.

منهم: أبدال الشام، ونجباء مصر، وأخيار العراق:

في أمالي المفيد (ص٣٠) عن محمّد ابن سويد الأشعري، قال: دخلت أنا وفطر ابن خليفة على جعفر بن محمّد عليه السلام ، فقرّب إلينا تمراً فأكلنا، وجعل يناول فطراً منه ثمّ قال له: «كيف الحديث الذي حدّثتني عن أبي الطفيل في الأبدال؟» فقال فطر: سمعت أبا الطفيل يقول: سمعت عليّاً أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «الأبدال من أهل الشام، والنجباء من أهل الكوفة يجمعهم اللّه لشرّ يوم لعدوّنا». فقال جعفر الصادق عليه السلام : «رحمكم اللّه، بنا يبدأ البلاء ثمّ بكم، وبنا يبدأ الرخاء ثمّ بكم، رحم اللّه من حبّبنا إلى الناس ولم يكرهنا إليهم». (بحار الأنوار: ٥٢/٣٤٧)

وفي غيبة الطوسي (ص٤٧٧) عن جابر الجعفي قال: قال أبو جعفر عليه السلام : «يبايع القائم بين الركن والمقام ثلاثمائة ونيّف عدّة أهل بدر، فيهم النجباء من أهل مصر، والأبدال من أهل الشام، والأخيار من أهل العراق، فيقيم ماشاء اللّه أن يقيم». (إثبات الهداة ٣: ٥١٧)

وفي تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (١: ٢٩٦) عن عليّ: «قبّة الإسلام بالكوفة، والهجرة بالمدينة، والنجباء بمصر، والأبدال بالشام وهم قليل».

وعن أبي الطفيل قال: خطبنا عليّ – عليه السلام – فذكر الخوارج، فقام رجل فلعن أهل الشام، فقال له: «ويحك لا تعمّ، إن كنت لاعناً ففلاناً [يعني معاوية] وأشياعه، فإنّ منهم الأبدال ومنكم العصب». (تاريخ مدينة دمشق: ١/٢٩٧)

بقلم: السيد هادي الموسوي

زواج خديجة عليها السلام من الرسول صلى الله عليه وآله

هـذا السـؤال ربمـا خطـر علـى ذهـن بعض القـراء، أو ربما هـو لم يخطر على ذهـن البعـض الآخـر، لان الجـواب عند البعض ممن قرأوا كتب التاريخ، والسيرة النبويـة كان واضحـاً.

بـل ربمـا أن الإجابة على هذا السـؤال كانت عند البعض من المسـلمات! وحينئذ لا داعي لطرح مثل هذا السـؤال.

لكـن نحـن طرحنا هـذا السـؤال على مائدة البحث العلمي والموضوعي فوجدنا، أن الإجابـة هـي: عكـس ما ذكرتـه كتب التاريخ والسيرة من خلال المسائل الآتية:

إعراضها عن الزواج

إنّ الرجـوع إلى أقـوال المؤرخـين وحفـاظ المسـلمين الذيـن ذكـروا شـأن خديجـة ومكانتهـا في مكـة، وأنَّ: «كل قومهـا كان حريصاً علـى الاقتران بها لو قدر عليه». ورفضها لشـخصيات قريش وتجارهـا مع بذلهم الأمـوال الكثيرة لها.

فهـذه الأقـوال لا يمكـن أن تنسـجم مـع ما جاءت به بعـض المصادر لتخبرنا: أن «سيدة قريـش» «الطاهـرة» قد تزوجت مـن رجلين من الأعراب همـا: (عتيق بن عائـذ بن عبد الله المخزومي) و(أبو هالة التميمـي) وأن لخديجـة عليهـا السـلام منهما أولاداً.

ثـم تـنـزل السـتار عليهمـا ولم تعـد تذكرهمـا في أي مـكان، ولم تبين أي حال من أحوالهما! فلعلنا نلمس من خلال هذا الحال، المبرر والدافع لهـذا الزواج؟

لكـن يبـدو أن الغرض المقصـود من هـذه الرواية هو الإشـارة إلى أن خديجة عليهـا السـلام لم تكـن باكـراً عندمـا تزوجهـا النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسـلم فتحظـى غيرها بهـذه المنقبة؟

أو لعـل الـراوي كان مـن المقربين مـن أهل الساسـة فـأراد كسـب مودتهم وإرضاءهم! وأياً كان هو الغرض فإن هذه المصادر ما أنصفـت أم المؤمنين خديجة عليهـا السـلام في كتاباتهـا.

الاختلاف في تحديد هوية الرجلين

إنّ الاختـلاف الكبـير في الروايـات التي تحدثت عن هذين الرجلين يدعو إلى الاعتقاد بأن هذين الرجلين هما من نسج خيال بعض الرواة، فقد اختلف ابن حجر والزبيدي والحلبي والمامقاني، وابن سعد، والطـبراني في صحة اسـم أحدهما، ولم يعلـم أيهما قد تزوجت بـه خديجة عليها السـلام قبل الآخر، ولم يتأكد عندهم أن المدعـو: هند، هو ابن هذا الزوج أو الزوج الآخـر، وهل هو ذكر أو بنـت؟ (الإصابة: ٣/ ٦١١-٦١٢)

أمـا ابـن حـزم الأندلسـي فلقـد ذكر أن لهـا مـن عتيـق بن عائـذ ولداً اسـمه (عبـد الله) ومن أبي هالـة ثلاثة: ولدين وهما (هند والحـارث وبنتاً وهي زينب).

(جامع السـيرة النبويـة: ص٣٠)

اعتراض أبي القاسم الكوفي

اعترض أبو القاسـم الكـوفي (المتوفى سـنة ٣٥٢) على هذه المقولـة وعدها من الفظائـع مع اسـتحالة وقوعهـا عند أهل العقـل والتمييز، فقـال: «إن الإجماع من الخاص والعـام، مـن أهـل الآثـار ونقلة الأخبار: على أنه لم يبقَ من أشراف قريش ومن ساداتهم وذوي النجدة منهم إلا من خطب خديجـة ورام تزويجهـا، فامتنعت علـى جميعهـم من ذلـك، فلمـا تزوجها رسـول الله صلـى الله عليـه وآلـه وسـلم غضب عليها نساء قريش وهجرنها، وقلن لها: خطبك أشراف قريش وأمراؤهم فلم تتزوجـي أحـداً منهم، وتزوجـت محمداً يتيـم أبي طالب، فقـيراً لا مال له؟!

فكيـف يجـوز في نظـر أهل الفهـم أن تكون خديجة، يتزوجها أعرابي من تميم، وتمتنع من سادات قريش، وأشرافها على ما وصفناه؟! ألا يعلم ذوو التمييز والنظر: أنـه مـن أبـين المحـال وأفظع المقـال»؟! (الاستغاثة:١/ ٧٠)

عند (ابن شهر) الخبر اليقين

فقـال رحمـه الله: وروى أحمـد البـلاذري، وأبـو القاسـم الكـوفي في كتابيهمـا، والمرتضـى في الشـافي، وأبـو جعفـر في التلخيص: أن النبي صلى الله عليه وآله وسـلم تزوج بها، وكانت عذراء. (مناقـب آل أبـي طالـب:١/ ١٥٩)

دلالة آية التطهير على عدم زواجها قبل النبي صلى الله عليه وآله

إن اختصـاص فاطمـة الزهـراء عليهـا السـلام بآيـة التطهير فيـه دلالة على عـدم زواج خديجة بأحـد قبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذلك بمقتضى الإرادة الربانيـة، المخـبرة عنهـا الآيـة في قولـه تعـالى: ﴿ إنمـا يريـد الله ﴾. (الأحـزاب/ ٣٣)

هـذه الإرادة حفظـت خديجـة مـن أن تمسها يد الشـرك، أو تدنسها الأرجاس. لأن رحمهـا الطاهر أعد لكي يسـتقبل

الطهـر صلـى الله عليه وآله وسـلم فتولد المطهرة فاطمة صلـوات الله عليها وهكذا هي سـنة الله مع أنبيائه عليهم السـلام، فكمـا أنَّ الله قد ربط على قلب أم موسـى إذ كادت لتبـدي به فحفظهـا وحفظ نبيه الكليـم ـ عليـه السـلام ـ ثـم حفظه وهو طفل رضيع موضوع في تابوت مقفل تقذفه الأمـواج كما شـاءت إرادة الله تعالى.

فـكان محفوظـاً بالعنايـة الإلهيـة، سـائراً بمقتضـى الإرادة الربانيـة، حتى أرجعـه الله إلى أمه كي تقر عينها، كذلك هو الحـال مع خديجة فقد كانت محفوظة من الأرجاسـ، مشـمولة بلطف الرحمن، سـائرة بعين الله، مصونة بمقتضى إرادة الله مـن أن يتعرض لهـا أي شكل مـن أشـكال الدنس، حتى لقبت بـين قومها بـ(الطاهرة) قبل أن تزف إلى الطهـر الطاهـر المطهر خـير الورى وسيد البشر لتحمل بسيدة النساء فاطمة الزهـراء عليهـا السـلام، فتكـون وعـاءً للإمامة وأماً لحجج الله على خلقه وحملة شـرعه. (تاريخ دمشـق:٣/ ١٩٣)

خديجة عليها السلام من الأرحام المطهرة

وفي قـول الإمـام أبـي عبـد الله جعفر ابـن محمـد الصـادق عليه السـلام وهو يخاطـب جـده الإمـام الحسـين بـن علي عليهما السـلام سـيد شـباب أهل الجنة بهذه الكلمات: «أشـهـد أنـك كنت نوراً في الأصلاب الشـامخة والأرحام المطهرة لم تنجسـك الجاهلية بأنجاسها ولم تلبسك من مدلهمـات ثيابها».

وهذا قول مأخوذ مـن الزيارة المعروفة بزيـارة وارث من زيارات سـيد الشـهداء سـلام الله عليـه وقـد أوردهـا الشـيخ الطوسـي في المصبـاح، وورد ذكرهـا في كتـاب المزار لابـن قولويه.

دلالـة أخـرى تسـير جنبـاً إلى جنـب مـع القـرآن لتبين حصانـة خديجة عليها السـلام من الأرجاسـ بدلالـة قوله عليه السـلام: «والأرحـام المطهرة».

والمتتبـع سـيرة الأوليـاء، ومناهـج الأنبيـاء، يجد الشـواهد الكثيرة في نجاة عباد الله المخلصين وبخاصة عندما يكون الأمـر متعلقـاً بعناصـر تكوين الرسـالة، وبقيـة النبوة.

السنن الكونية تنفي زواجها قبل النبي صلى الله عليه وآله

ولعل كثـيراً مـن النـاس لا يجد أهمية لهذه القضية من حيث إن خديجة عليهـا السـلام تزوجت قبـل النبـي صلـى الله عليـه وآله وسـلم أم لم تـزوج فنقـول:

إن الله سـبحانه وتعـالى عندمـا سـن السـنن، وقـدر المقـدورات، جعـل هنـاك ثوابت من خلالها تجري الأمور، فشـجرة الليمـون لا يمكـن أن تعطينـا التفـاح مع أن الشـجرتين تزرعـان في نفسـ التربة! والسـبب: هـو أنَّ السـنن والقوانـين التي ركبـت في الجينـات الوراثية لهـذه النبتة أو تلـك لا تتغير، فكانت من ضمن الثوابت التي جعلها الله في خلقها؛ ولكن لو فرضنا أنَّ تغيراً حدث في الشـريط الوراثي الذي تحمله هذه الجينة فإنه لا يمكن أن نحصل علـى ثمرة الليمـون بشـكلها وهيأتها التي خلقهـا الله، مـع حفظ النتائـج الإيجابية التـي قدرها الله لهـذه الثمرة.

فكيـف إذا كان الأمـر متعلقـاً بالنبـوة والأنبيـاء الذيـن جعلهـم الله الخلفاء في الأرض. قـال عز وجل: ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ﴾. (البقـرة/٣٠)

ولكـي تحفظ هـذه المنزلة فـإن الله جعـل لهـا ثوابـتَ وسـنناً لا يمكـن تجاوزهـا أو تغييرهـا، لأن التغيـير في هـذه السـنن لـو حصل مجازاً بسـبب عوامل دخيلـة فإنـه لا يمكن أن تتحقق النتائـج المطلوبة المتمثلة في الخلافـة الإلهيـة على الأرض. وذلك مـن خلال تجسـيد الشـرع الإلهي في تلك الشـخوص المصطفـاة.

ولأجـل الحفـاظ علـى هـذه النتائـج جعل الله قانـون «حفظ الأصلاب وطهارة الأرحـام» للحيلولـة دون دخـول عوامـل سـلبية تؤثر على التكوين الخلقي والخُلقي لأصحاب هذه المنزلة، وكلما كانت المنزلة أكبر كلمـا كانت القوانين والسـنن الإلهية التـي تحيط بهـا أكثر وأدق.

وعليـه: فإننا عندمـا نأتي إلى مسـألة زواج خديجـة عليهـا السـلام نجـد أن هناك سـنناً وقوانين أحاطت هذه السيدة العظيمة عليها السلام، لأنها الموضع الذي اختاره الله لكي تحمل ثمرة النبوة... لكي تحمل بسيدة نسـاء العالمين... لكي تحمل بفاطمـة صلـوات الله عليهـا ولأجـل هذا أجرى الله سـنته في حفظ هـذا الرحم.

بقلم: سيد نبيل الحسني

القرآن وسائر الكتب السماوية



إنّ شرف القرآن وعلوّ شأنه وعظمته مما لا يخفى على أحد ممن انتهل العلم والأدب من أيّة شريعة وملّة، فضلاً عن المسلمين، فلو كانوا شاكّين فيه لا تنقضوه، أو انتقصوه وعارضوه بآية من مثله (ولم يكونوا يتحمّلون في القرون المتمادية، المشاقّ في بذل النقود الكثيرة جدّاً، والغارات العديدة، والحروب المتشتّتة، والطرق المختلفة الأخرى على الإسلام والمسلمين، في سبل معارضة القرآن الكريم)، كما قال الله تعالى: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾. (البقرة:٢٣-٢٤)

وقد ثبت أن القرآن معجزة إلهية سماوية، نزل من عند الخالق الباري تعالى — العالم بجميع ما خلق في عالَم الوجود — جامع لما يحتاجه الإنسان في شؤونه الثقافيّة والعباديّة والاجتماعيّة والسياسيّة وغيرها، وأنّه أمّ القوانين والعناوين في الأمور المختلفة، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾. (الأنعام:٥٩)

فهو هادي المؤمنين والمتّقين، كما قال عزّ وجلّ: ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾. (البقرة:٢-٥)

وإنّ في القرآن الترياق الأكبر والكبريت الأحمر، وفي آياتها الخواصّ العجيبة والمعجزات الغريبة، فهو شفاء لكلّ داء، كما روى العياشي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه شكا إليه رجل وجعاً في صدره، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «استشف بالقرآن، فإنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿ وشفاء لما في الصدور ﴾ (يونس:٥٧)». (تفسير العياشي:٢/ ١٢٥)

القرآن وسائر الكتب

روى الشيخ الصدوق في حديث طويل، عن عبيد بن عمير الليثي، عن أبي ذرّ رحمة الله عليه، أنّه قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو جالس في المسجد وحده، فاغتنمت خلوته، فقال لي: «يا أبا ذرّ! للمسجد تحيّة»، قلت: وما تحيّته؟ قال: «ركعتان تركعهما»، فقلت: يا رسول الله! إنّك أمرتني بالصلاة، فما الصلاة؟ قال: «خير موضوع،

فمن شاء أقلّ ومن شاء أكثر».

قلت: يا رسول الله! أيّ الأعمال أحبّ إلى الله عزّ وجل؟ فقال: «إيمان بالله، وجهاد في سبيله».

قلت: فأيّ وقت الليل أفضل؟ قال: «جوف الليل الغابر».

قلت: فأيّ الصلاة أفضل؟ قال: «طول القنوت».

قلت: وأيّ الصدقة أفضل؟ قال: «جهد من مقلّ إلى فقير ذي سنّ».

قلت: ما الصوم؟ قال: «فرض مجزي وعند الله أضعاف كثيرة».

قلت: فأيّ الرقاب أفضل؟ قال: «أغلاها ثمناً وأنفسها عند أهلها».

قلت: فأيّ الجهاد أفضل؟ قال: «من عقر جواده وأهريق دمه».

قلت: فأيّ آية أنزلها الله عليك أعظم؟ قال: «آية الكرسي»، ثم قال: «يا أبا ذرّ! ما السماوات السبع في الكرسي إلاّ كحلقة ملقاة في أرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة».

قلت: يا رسول الله! كم النبيّون؟ قال: «مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبيّ».

قلت: كم المرسلون منهم؟ قال: «ثلاثمائة وثلاثة عشر جمّاء غفيراً».

قلت: من كان أوّل الأنبياء؟ قال: «آدم».

قلت: وكان من الأنبياء مرسلاً؟ قال: «نعم، خلقه الله بيده ونفخ فيه من روح»، ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم: «يا أبا ذرّ! أربعة من الأنبياء سريانيّون، آدم وشيث وأخنوخ وهو إدريس وهو أوّل من خطّ بالقلم ونوح عليهم السلام، وأربعة من الأنبياء من العرب: هود وصالح وشعيب ونبيّك محمد، وأوّل نبيّ من بني إسرائيل موسى وآخرهم عيسى وستّمائة نبيّ».

قلت: يا رسول الله! كم أنزل الله من كتاب؟ قال: «مائة كتاب وأربعة كتب، أنزل الله على شيث خمسين صحيفة، وعلى إدريس ثلاثين صحيفة، وعلى إبراهيم عشرين صحيفة، وأنزل التوراة والإنجيل والزبور والفرقان».

قلت: يا رسول الله! فما كانت صحف إبراهيم؟ قال: «كانت أمثالاً كلّها وكان فيها: أيّها الملك المبتلى المغرور! إنّي لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها إلى بعض، ولكن بعثتك لتردّ عنّي دعوة المظلوم، فإنّي لا أردّها وإن كانت من كافر، وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن يكون له ساعات؛ ساعة يناجي فيها ربّه عزّ وجلّ، وساعة يحاسب نفسه، وساعة يتفكّر فيما صنع الله عزّ وجلّ إليه، وساعة يخلو فيها بحظّ نفسه من الحلال، فإنّ هذه الساعة عون لتلك الساعات واستجمام للقلوب وتوزيع لها، وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه، مقبلاً على شأنه، حافظاً للسانه فإنّ من حسب كلامه من عمله قلّ كلامه إلاّ فيما يعنيه، وعلى العاقل أن يكون طالباً لثلاث: مرمّة لمعاش، أو تزوّد لمعاد، أو تلذّذ في غير محرّم».

قلت: يا رسول الله! فما كانت صحف موسى؟ قال: «كانت عبرانيّة كلّها وفيها: عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح، ولمن أيقن بالنار لم (كيف) يضحك، ولمن يرى الدنيا وتقلّبها بأهلها لم (كيف) يطمئنّ إليها، ولمن يؤمن بالقدر كيف ينصب، ولمن أيقن بالحساب لمَ لا يعمل».

قلت: يا رسول الله! هل في أيدينا ممّا أنزل الله عليك شيء ممّا كان في صحف إبراهيم وموسى؟ قال: «يا أبا ذرّ! اقرأ ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى * بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى * إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾. (الأعلى: ١٤-١٩)».

قلت: يا رسول الله! أوصني، قال: «أوصيك بتقوى الله، فإنّه رأس الأمر كلّه»، قلت: زدني، قال: «عليك بتلاوة القرآن وذكر الله كثيراً، فإنّه ذكر لك في السماء ونور لك في الأرض»، قلت: زدني، قال: «عليك بطول الصمت، فإنّه مطردة للشياطين وعون لك على أمر دينك»، قلت: زدني، قال: «إيّاك وكثرة الضحك، فإنّه يميت القلب ويذهب بنور الوجه».

قلت: يا رسول الله! زدني، قال: «انظر إلى من هو تحتك ولا تنظر إلى من هو فوقك، فإنّه أجدر أن لا تزدري نعمة الله عليك».

قلت: يا رسول الله! زدني: قال: «صل قرابتك وإن قطعوك»، قلت: زدني: قال: «أحبّ المساكين ومجالستهم»، قلت: زدني، قال: «قل الحقّ وإن كان مرّاً»، قلت: زدني: قال: «لا تخف في الله لومة لائم»، قلت: زدني، قال: «ليحجزك عن الناس ما تعلم من نفسك ولا تجد عليهم فيما تأتي مثله».

ثمّ قال صلى الله عليه وآله وسلم: «كفى بالمرء عيباً أن يكون فيه ثلاث خصال: يعرف من الناس ما يجهل من نفسه، ويستحيي لهم ممّا هو فيه، ويؤذي جليسه بما لا يعنيه».

ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم: «لا عقل كالتدبير، ولا ورع كالكفّ، ولا حب كحسن الخلق». (الخصال: ٢/ ٥٢٣، ح١٣)

بقلم: الشيخ عبد الله الصالحي

معاناة الشيعة في زمن الخلفاء

بعد استشهاد الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بيد ابن ملجم لعنه الله بينما كان الإمام يستعد لأداء الصلاة في صبيحة أحد أيام شهر رمضان كان سيف الغدر، بيد أشقاها ابن ملجم، وما أن دلف الإمام إلى المسجد حتى هوى السيف على رأس أتقاها، ومات أفضل المسلمين بعد النبي، فبقي عليه السلام يومان في فراش المرض وقبضه الله إليه في الحادي العشرون من شهر رمضان عام ٤٠ للهجرة.

وبايعت القلة المؤمنة الحسن عليه السلام، وتبعهم الذين بايعوا أباه، على أن يكون الخليفة من بعد أبيه عليه السلام، لكن يد الغدر والخيانة أطالت في خلافة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام حتى أنّه وصل الحد إلى اغتيال الإمام في مسجد الكوفة.

فقد جهز الإمام الحسن عليه السلام على الفور جيشاً لمقاتلة معاوية، وسار الجيش بقيادة عبيد الله بن العباس، ومن دون علم الإمام جرت مفاوضات بين معاوية وبين عبيد الله أسفرت عن حصول الأخير على رشوة كبيرة من معاوية فالتحق ومعه ثلث الجيش بمعاوية.

ولم يستسلم الإمام إنما خرج ومعه فئة من المؤمنين لينضموا إلى ما تبقى من الجيش، وليقاتلوا معاوية، ففجع قلب الإمام الشريف عندما اكتشف أن فرقة ممن تبقى من جيشه كانت تخطط للقبض عليه وتسليمه حياً لمعاوية مقابل مبلغ من النقود، وأن هذه الفرقة قد شرعت في ذلك وطعنته وهجمت على فسطاطه ونهبته!

عندئذ تيقن الإمام أن الاستمرار في مواجهة معاوية عسكرياً في هذه الظروف سيؤدي حتماً إلى إبادة الفئة المؤمنة إبادة تامة، وخلو الساحة من المؤمنين، وهذا ما يتمناه معاوية وبطون قريش، وبالنتيجة سينتصر معاوية.

لذلك، وحرصاً من الإمام على ما تبقى من الفئة المؤمنة ومن أهل بيت النبوة، قرر أن يصالح معاوية، وجرت مفاوضات، وقبل معاوية بشروط الإمام، ووقع على التزامه بها، فجرى الصلح بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية، وصار معاوية بالقوة والقهر خليفة جميع المسلمين بشروط مدوّنة في معاهدة الصلح، وبعد أن تم له ما أراد، لم يف بعهد الله، ولم يحترم توقيعه على شروط الحسن، فنقض معاوية المعاهدة بعد استشهاد الإمام الحسن عليه السلام، بعدما اغتاله بيد زوجته جعدة بنت الأشعث.

وظهر معاوية على حقيقته لا مطمع له إلا الملك، وما

كانت الشعارات التي رفعها سوى ستار يخفي تحته أطماعه.

وبعد أن استهل معاوية عهده الجديد، أخذ الناس يقارنون بين عهده وعهد علي، وسيرته وسيرة علي، وعدله وعدل علي، وعلمه وعلم علي، وأصله وأصل علي، فندموا وتباكوا على الإمام وعلى كل ما كان يرمز له (ولات حين مندم) واضطروا إلى مواجهة عسف الملك الذي أقاموا ملكه بأيديهم وأعمالهم!

أما الفئة التي تشيعت لله ولرسوله ولأهل بيته بقيت على عهد الله لم تتغير، ولم تهتز قناعاتها بأن قيادة الأمة حق خالص لأهل بيت النبوة، ولكنها اضطرت أن تخفي هذه القناعات تماماً كما أخفتها في عهد الخلفاء الثلاثة حرصاً منها على حياتها ومصالحها الهزيلة، وهؤلاء الباقون على عهد الله هم الشيعة.

والفئات التي تباكت من ظلم معاوية وولاته وفقدت عدل الإمام وسيرته، بدأت من الصفر وأخذت تكون لنفسها قناعات مختلطة تتضمن نوعاً من الموالاة لأهل بيت النبوة، ولكنها ليست الموالاة الشرعية إنما هي تعبير عن المعاناة، أولئك ليسوا شيعة.

التشيع، من منظور السلطان، جريمة تفوق جريمة الكفر

بعد أن استقام الأمر لمعاوية ولبطون قريش، وانشبوا أظفارهم في أعناق المسلمين وقلوبهم لم يكتفوا بإلغاء النهج العام للتشيع الذي كان سائداً زمن النبي، وزمن علي، ولم يكتفوا بطمس النصوص الشرعية التي تبرز علياً وأهل بيت النبوة وتؤكد حقهم في القيادة والمرجعية، بل سخروا كل إمكانيات الدولة وطاقاتها الهائلة للتشكيك في هذه النصوص الشرعية، ولاختلاق فضائل ونصوص نبوية لمعاوية وقادة البطون ما أنزل الله بها من سلطان، وفرض هذه الفضائل والنصوص المختلفة على الناس وجعلها منهاجاً تربوياً وتعليمياً لرعايا دولة معاوية.

وأبعد من ذلك فإن معاوية وقادة البطون صوروا عليُّ ابن أبي طالب في صورة الشيطان (حاشاه) وفرضوا على الرعية لعنه وسبه والتبرؤ منه ومن أهل بيت النبوة، فكان علي بن أبي طالب عليه السلام يسب على المنابر طيلة سبعين عاماً.

وأصدر معاوية، بوصفه سلطان المسلمين، سلسلة من (المراسيم الملكية) عممت على كافة ولاته، وفي كل أقاليم دولته، أمرهم فيها بأن يمحوا من ديوان العطاء كل من يشتبهوا بموالاته لعلي بن أبي طالب وأهل بيت النبوة، وألا يقبلوا له شهادة، وإن ظنوا بأن أحداً من المسلمين يحب علياً وأهل بيت النبوة فعليهم أن يهدموا داره وأن يقتلوه على الفور.

فصارت كلمتا الكفر والزندقة أخف بمليون مرة من كلمة التشيع، وصار الكفرة والزنادقة ملوكاً إذا ما قيسوا بالشيعة، وصارت الانتماء إلى الشيعة من الجرائم الكبرى التي تعرض مرتكبها للقتل من دون محاكمة، وعلى الشبهة!

وصارت هذه (المراسيم) جزءاً من المنهاج التربوي والتعليمي للدولة الأموية يتناقلها الناس، جيلاً بعد جيل.

وما يعنينا أن الفئة المؤمنة بحق أهل بيت النبوة عليهم السلام بقيادة الأئمة بقيت على إيمانها، ولكنها أخفت هذا الإيمان في حرز منيع، وكان هم الشيعة منصباً بالدرجة الأولى والأخيرة على المحافظة على الحياة.

فلم يعد بوسع أحد منهم أن يقول لخادمه بأنه من الشيعة، كم كان الواحد منهم يتستر على إيمانه تماماً كتستر مؤمن آل فرعون بل وأشد تستراً، لأن البديل الآخر هو الموت، وتركت الساحة لمعاوية ولبطون قريش لينجحوا في تحريف الحقائق بقوة الدولة وسلطانها!

لذلك تشبثت الشيعة بالحياة لا حرصاً عليها، ولكن طمعاً بنقل الحقيقة من جيل إلى جيل وبيانها للناس، وفاء بما أخذه الله على العلماء.

المذبحة الكبرى

لما شعر معاوية بدنو أجله، وليتم بالصالحات أعماله، أخذ يعد العدة ليستخلف ابنه يزيد من بعده، وشجعه على ذلك تأييد البطون والمنافقين والمرتزقة وجند الشام المجندة تحت أمرته، وخيراتها المكنوزة لحاجاته الشخصية.

ويزيد الرجل السكير المشهور بخلاعته وعدم الالتزام بالدين ومجونه وتفاهته، ولكن وكما فرض نفسه على الأمة بالتغلب والقهر، أراد أن يورثها لابنه باعتبارها جزءاً من ممتلكاته الخاصة، وقدر معاوية أن أهل المدينة

الذين يعرفون يزيد لن يقبلوه، وبالتالي فستكون الفرصة ذهبية للقضاء التام على ما تبقى من المؤمنين.

وبعد أن استخلف يزيد وعهد إليه؛ أوصاه بأن يرسل مسلم بن عقبة إلى المدينة إذا ثار أهلها، ويبدو واضحاً أن معاوية قد تفاهم مع مسلم بن عقبة على ما ينبغي فعله بأهل المدينة.

مات معاوية وجرت (مراسيم) بيعة الخليفة الجديد يزيد مع مراسيم العزاء بموت الخليفة القديم معاوية، وطلب من الحسين عليه السلام سبط النبي صلى الله عليه وآله وسلم وابن علي بن أبي طالب عليهما السلام، أن يبايع يزيد ليكون حاكمه وإمامه وقائده!

وأهل المدينة يتفرجون لا يدفعون هذا الحرج عن سبط النبي لا بيد ولا بلسان، فوعد الإمام أن ينظر في الطلب، ولما أرخى الليل سدوله ودع الحسين جده، وخرج بأهله ومن اتبعه من ذرية أخيه وأبناء عمومته إلى مكة.

وأحيط أهل مكة علماً بقدوم الحسين وأهله، وبإصرار ولاة يزيد على أخذ البيعة منه فلم يحركوا ساكناً، بل نظروا إليه كزائر من زوار بيت الله الحرام، وأمضى الحسين أياماً في مكة ثم توجه إلى العراق.

وفي كربلاء كان جيش يزيد بانتظاره هو وأهل بيته، كان جيش (الخلافة) قد تلقى أمراً حاسماً بالحيلولة بين الحسين وأهل بيته ومن معه وبين الماء حتى يموتوا جميعاً عطشاً تماماً وولاة العراق، وقادة جيش الخلافة الذي نهد ليذبح سبط النبي وأهل بيت النبوة أقل وأذل من أن يصدروا أمراً بهذه الخطورة وأن ينفذوه على مسؤوليتهم، بمعنى أن الخليفة الجديد ضالع من المؤامرة والمذبحة مثلما كان أبوه ضالعاً بها وشارك فيها الذين كتبوا للحسين!

وما يدل ذلك أنه لم تكن هنالك ضرورة عسكرية للقتال، فيمكن لجيش قوامه عشرون ألف مقاتل، أو أربعة آلاف مقاتل، أن يأسر، وبكل سهولة، رجلاً ومعه اثنان وسبعون شخصاً من أهل بيته وشيعته. لكن الوالي والجيش والخليفة الجديد والقديم ضالعون بالمذبحة، وقد اتخذوا قرارها، وهم ينفذونها فصلاً فصلاً.

وبعد حصار طويل وبعد أن أشرف الحسين وأهل بيت النبوة وأطفال النبي وبناته على الموت عطشاً، شن عمر ابن سعد بن أبي وقاص هجوماً شاملاً وانجلى الهجوم عن قتل الحسين وأهل بيت النبوة وأسر بنات النبي وأطفاله.

ولم يكتف ابن سعد بذلك بل أمر كوكبة من خيالته بأن يطأوا بخيولهم جثة بدن الحسين عليه السلام وأهل بيت النبوة ومن معهم، وأن يقطعوا رؤوس القتلى ويحملوها على الرماح حتى يرى والي العراق والخليفة أفعال عمر بن سعد وبلاءه المجيد في سبيل عرش معاوية وابنه!

ورفعت الرؤوس، وسيقت بنات النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولم تقع المذبحة إلا بعد أن أقام الحسين الحجة على القوم وبان لكل ذي عقل أن القوم أسفل من الكفرة، وأنها أحقاد على محمد وعلي وبني هاشم وعملية ثأر لقتلى الأمويين في معركة بدر، ولكن تحت خيمة الإسلام.

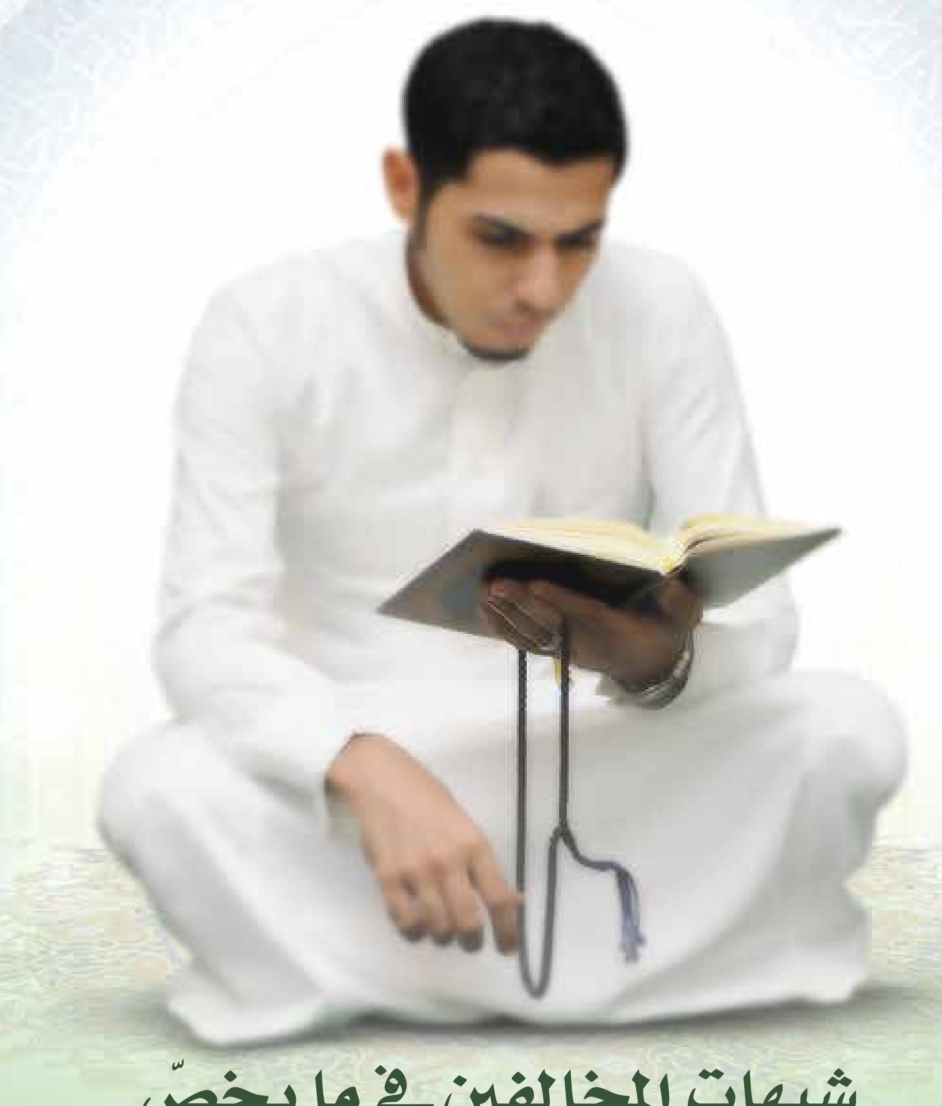
وصدم العالم الإسلامي من هول ما جرى في كربلاء، وانزعج أهل المدينة، وتمردوا على يزيد.

وعملاً بوصية معاوية، جهز الخليفة جيشاً من أهل الشام وسلم قيادته لمسلم بن عقبة، وصل مسلم إلى المدينة، وفي يوم واحد، هو (يوم الحرة) قتل عشرة آلاف مسلم وأباح المدينة ثلاثة أيام لجيشه وربط خيوله في مسجد النبي، وختم أعناق الصحابة، وأخذ البيعة ممن تبقى من أهل المدينة على أنهم قول لأمير المؤمنين يزيد يتصرف بهم كما يتصرف السيد بعبيده، إن شاء باعهم، وإن شاء استخدمهم وإن شاء قتلهم، يفعل بهم ما يشاء!

استسلمت الأمة لآل أبي سفيان بخاصة ولبني أمية بعامة، وذاقت وبال أمرها بمعصيتها لنبيها وخذلانها أهل بيته الذين أمرها الله بتقديمهم فذبح الطغاة ساداتها، ثم ذبحوا عامتها.

ودخل حفيد أبي سفيان المدينة رداً على دخول محمد لمكة، ولكن تحت مظلة الإسلام!

بقلم: أحمد حسين



شبهات المخالفين في ما يخصّ زيـــــارة عاشـــــوراء والزيـارة الجامعة وغيرهما

هناك هجمة عنيفة على معتقداتنا وموروثاتنا والتشكيك فيها من قبل السلفيين والنواصب، وأخرى من قبل بعض من يدعي التشيّع، فالشيعي وخصوصاً في بلاد الغربة لا يستطيع مقاومة ذلك، أولاً لعدم توفر المصادر التي يستقي منها معلوماته؛ وثانياً لضخامة الهجمة التي تواجهه.

خصوصاً وأن خطورة الذين يدعون التشيّع أكبر من خطورة السلفيين والنواصب، لأنّ هؤلاء يقومون بين فترة وأخرى بزيارات لهذه البلاد ويحاضرون في الحسينيات والمساجد والمراكز الشيعية أو يأتي من ينوب عنهم ليقوم بدور التشكيك بكل شيء بلغة شيعية وبروايات عن أئمة أهل البيت عليهم السلام.

ومن أبرز هذه الإشكالات التشكيك بالزيارات والأدعية.

فهناك روايات عن أئمة أهل البيت عليهم السلام وردت في الزيارات المخصوصة والعامة من جملتها:

١. زيارة عاشوراء.

٢. زيارة الجامعة الكبيرة.

٣. زيارة الناحية المقدسة.

٤. زيارة وارث.

٥. دعاء التوسل.

٦. دعاء السمات.

٧. دعاء الندبة.

٨. دعاء العهد.

٩. دعاء الفرج.

لكن السؤال المطروح هو هل أن مسانيد هذه الزيارات

والأدعية تصل إلى المعصومين، وهل أن في سندها ضعف؟

الجواب: قبل الخوض في الإجابة عن السؤال لابدّ أن يلتفت الأخوة الى النقاط التالية:

أولاً: إنّ مضأمين الزيارات والأدعية لا يقتصر ورود مضمونها على تلك الزيارات والأدعية فهناك العديد من الزيارات الأخرى والأدعية الأخرى بأسانيد أخرى قريبة المضمون معنىً ولفظاً لقطعات من الأولى، كما أن هذه الزيارات والأدعية قد ورد كثير من مضامينها في الروايات الواردة في المعارف، وهي في كثير من طوائفها مستفيضة بل بعضها متواتر معنوي أو إجمالي، وعلى هذا فالدغدغة في أسانيد هذه الزيارة أو تلك أو هذا الدعاء وذاك تنطوي على عدم إلمام بهذه الحقيقة العلمية المرتبطة بعلم الحديث والرواية.

ثانياً: إن الزيارات والأدعية ليست معلماً عبادياً بحتاً بل هي معلمٌ علميٌ ومعرفيٌ مهم للدين، فهي عبادة علمية ومن ثم تنطوي هي على معارف جمّة وتكون بمثابة تربية علمية في ثوب العبادة، ومن المعلوم أنَّ أفضل العبادات هي عبادة العالم، والعبادة العلمية أي: المندمجة مع العلم، وهكذا الحال في هذه الزيارات والأدعية، وبذلك يتبين أن ما وراء التشكيك والمواجهة للزيارات والأدعية هو تشكيك ومواجهة للمعارف.

ثالثاً: إنّ هذه الزيارات والأدعية كفى بها اعتماداً مواظبة أكابر علماء الطائفة الإمامية على إتيانها في القرون المتلاحقة، وهذا بمجرده كاف للبصير بحقانية المذهب وعلمائه في توثيق هذه الزيارات والأدعية.

سند زيارة عاشوراء

أما زيارة عاشوراء فقد رواها الشيخ الطوسي شيخ الطائفة في كتابه المعتمد لدى الطائفة الإمامية وعلمائها - مصباح المتهجد - عن محمد بن إسماعيل بن بزيع - الذي هو من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام الأجلّاء الفقهاء وعيون أصحابه، وطريق الشيخ الى بن بزيع صحيح، كما ذكر ذلك في الفهرست والتهذيب والذي يروي الزيارة عن عدة طرق عن الإمامين الصادق والباقر عليهما السلام؛ فقد رواها عن صالح بن عقبة، عن أبيه، عن الإمام الباقر عليه السلام.

وعن سيف بن عميرة، عن علقمة بن محمد الحضرمي، عن الإمام الباقر عليه السلام.

وعن سيف بن عميرة - الذي هو من الثقات الأجلّاء - عن صفوان بن مهران الجمّال - والذي هو من الثقات الأجلاء المعروفين - عن الإمام الصادق عليه السلام.

وعن محمد بن خالد الطيالسي؛ فإسناد الشيخ إليها صحيح .

وقد رواها قبل الشيخ الطوسي، شيخ الطائفة ابن قولويه أستاذ الشيخ المفيد في كتابه المعتمد لدى علماء الإمامية كامل الزيارات - بإسنادين معتبرين عن كل من: محمد بن خالد الطيالسي، وابن بزيع، عن الجماعة المتقدمة فإسناده صحيح.

كما قد رواها الشيخ محمد بن المشهدي في كتابه المعروف المزار الكبير، وهو من أعلام الطائفة الإمامية في القرن السادس، بسنده.

وقد رواها السيد ابن طاووس في كتابه مصباح الزائر بإسناده، وهو من أعلام القرن السابع.

وقد رواها أيضاً الكفعمي في كتابه المصباح، وهو من أعلام القرن العاشر.

سند زيارة الجامعة الكبيرة

فقد رواها الشيخ الصدوق في كتابه المشهور من لا يحضره الفقيه، وكتابه عيون أخبار الرضا عليه السلام بأسانيد فيها المعتبر، عن محمد بن إسماعيل البرمكي الثقة الجليل، عن موسى بن عمران النخعي وهو قرابة الحسين بن يزيد النوفلي، وهو ممن وقع كثيراً في طريق رواية المعارف عن الأئمة التي أوردها الكليني في أصول الكافي، والصدوق في كتبه كالتوحيد وإكمال الدين والعيون وغيرها، وكلها مما اشتملت على دقائق وأصول معارف مدرسة أهل البيت، فيستفاد من ذلك علو مقام هذا الرواي.

وقد روى الشيخ الطوسي في كتابه المعتمد (التهذيب) هذه الزيارة بإسناده الصحيح عن الصدوق أيضاً.

كما قد روى هذه الزيارة الشيخ محمد بن المشهدي في كتابه المعتمد (المزار الكبير) بإسناده الصحيح عن الصدوق، وهو من أعلام الإمامية في القرن السادس.

وقد رواها أيضاً الكفعمي في البلد الأمين، وكذا المجلسي في البحار.

ثم إن مضامين هذه الزيارة قد وردت بها الروايات المستفيضة والمتواترة عن أهل البيت عليهم السلام الواردة في فضائلهم ومناقبهم، وكذلك في روايات العامة الواردة في فضائلهم؛ فلاحظوا وتدبّروا.

سند زيارة الناحية المقدسة

توجد زيارتان عن الناحية المقدسة:

الأولى: المذكور فيها التسليم على أسماء الشهداء رضوان الله تعالى عليهم وقد رواها المفيد في مزاره، والشيخ محمد بن المشهدي، الذي هو من أعلام القرن السادس بإسناده، عن الشيخ الطوسي بإسناده، عن وكلاء الناحية المقدسة في الغيبة الصغرى، ورواها أيضاً السيد ابن طاووس في (مصباح الزائر) وفي (الإقبال) بإسناده إلى جده الشيخ الطوسي بإسناده إلى الناحية المقدسة؛ ورواها المجلسي في البحار.

أما الثانية وهي المعروفة؛ فقد رواها الشيخ المفيد في مزاره، والشيخ ابن المشهدي في المزار الكبير، والمجلسي في بحاره، والفيض الكاشاني في كتابه (الصحيفة المهدوية)، وهي وإنْ كانت مرسلة الإسناد إلا أنَّه اعتمدها كل من: الشيخ المفيد وابن المشهدي.

سند زيارة وارث

فقد رواها الشيخ الطوسي في مصباح المتهجد بسند صحيح عن ابن قضاعة، عن أبيه، عن جده صفوان بن مهران الجمال، عن الإمام الصادق عليه السلام؛ فالسند صحيح؛ وهناك مصادر أخرى.

سند دعاء التوسل

فقد أخرجه العلامة المجلسي عن بعض الكتب، وقد وصفها بالمعتبرة، وقد روى صاحب ذلك الكتاب الدعاء عن الصدوق قدس سره وقال: ما توسلت لأمر من الأمور إلاّ ووجدت أثر الإجابة سريعاً.

ثم إن مضمونه يندرج في عموم قوله تعالى: ﴿ ادعوني استجب لكم﴾، وقوله تعالى: ﴿ وابتغوا إليه الوسيلة ﴾، وقوله تعالى: ﴿ قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ﴾، وقوله تعالى: ﴿ ما سألتكم من أجر فهو لكم﴾، وقوله تعالى: ﴿ ما اسئلكم عليه من أجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا ﴾ فبضم هذه الآيات الى بعضها البعض يعلم أنهم عليهم السلام السبيل والمسلك والوسيلة إلى رضوانه تعالى.

سند دعاء السمات

فقد رواه الشيخ الطوسي شيخ الطائفة الإمامية في كتابه المعتمد لدى علماء المذهب (مصباح المتهجد) عن العمري النائب الخاص للحجة عجل الله تعالى فرجه، وذكر السيد ابن طاووس في (جمال الأسبوع) قبل أن يورد الدعاء أن الشيخ: روى الدعاء في مصباحه بروايتين وإسنادين.

وظاهر كلامه عن نسخة المصباح التي لديه أن هذا الدعاء: معطوف إسناده على الدعاء السابق.

وقد رواه الشيخ بسند صحيح عال، وهو محتمل بحسب النسخ التي لدينا، بل إن ابن طاووس كل نسخه مسندة مصححة لقرب عهده بالشيخ الطوسي الذي هو جده قدس سرهما، ومن ثم عبّر الشيخ عباس القمّي في (مفاتيح الجنان) عن الدعاء أنّه: مروي بإسناد معتبر.

وهو كذلك؟ لأن ابن طاووس أشار أيضاً إلى وجود أسانيد أخرى سيشير إليها في كتبه الأخرى، وكما قال غير واحد: قد واظب عليه أكثر علماء السلف.

سند دعاء الندبة والعهد والفرج

فقد رواها السيد ابن طاووس في (مصباح الزائر) عن بعض الأصحاب ورواه قبله - بما يزيد على القرن - الشيخ ابن المشهدي في كتابه (المزار الكبير) بإسناده، عن محمد ابن أبي قرة، عن محمد بن الحسين البزوفري، وقد رواه ابن طاووس في (الإقبال) أيضاً، ورواه المجلسي في (البحار) و(زاد المعاد)، والميرزا النوري في (تحفة الزائر) والفيض الكاشاني في (الصحيفة المهدوية).

فهذه بعض أسانيد الأدعية والزيارات التي تم ذكرها سابقاً.

بقلم: الشيخ محمد السند

أنزل عن منبر أبي

ذكر العلامة أحمد بن أبي طالب الطبرسي رحمه الله مرسلاً قال: روي أنَّ عمر بن الخطاب كان يخطب الناس على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله، فذكر في خطبته: أنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم!!

فقال له الحسين عليه السلام، من ناحية المسجد: «أنزل أيّها الكذاب عن منبر أبي رسول الله لا منبر أبيك!».

فقال له عمر: فمنبر أبيك لعمري يا حسين لا منبر أبي، من علّمك هذا أبوك علي بن أبي طالب؟!

فقال له الحسين عليه السلام: «إن أطع أبي فيما أمرني فلعمري أنّهُ لهاد وأنا مُهتد به، وله في رقاب الناس البيعة على عهد رسول الله، نزل بها جبرئيل من عند الله تعالى لا ينكرها إلاّ جاحدٌ بالكتاب، قد عرفها الناس بقلوبهم وأنكروها بألسنتهم، وويلٌ للمنكرين حقّنا أهل البيت، ماذا يلقاهم به محمد رسول الله صلى الله عليه وآله من إدامة الغضب وشدّة العذاب».

فقال عمر: يا حسين من أنكر حق أبيك فعليه لعنة الله، أمّرنا الناس فتأمّرنا، ولو أمّروا أباك لأطعنا!

فقال له الحسين صلى الله عليه وآله: «يا بن الخطاب، فأي الناس أمرَّك على نفسه، قبل أن تؤمّر أبا بكر على نفسك، ليؤمِّرك على الناس؟ بلا حجة من نبي، ولا رضاً من آل محمّد، فرضاكم كان لمحمّد صلى الله عليه وآله رضاً؟ أو رضا أهله كان له سخطاً؟ أما والله لو أنّ للسان مقالاً يطول تصديقه، وفعلاً يعينه المؤمنون، لما تخطأت رقاب آل محمد ترقى منبرهم، وصرت الحاكم عليهم بكتاب نزل فيهم، لا تعرف معجمه! ولا تدري تأويله! إلا سماع الآذان، المخطىء والمصيب عندك سواء، فجزاك الله جزاك، وسألك عما أحدثت سؤالاً حفيّاً!».

قال: فنزل عمر مغضباً، فمشى معه أناس من أصحابه حتى أتى باب أمير المؤمنين عليه السلام فاستأذن عليه فأذن له، فدخل فقال: يا أبا الحسن ما لقيت اليوم من ابنك الحسين، يجهرنا بصوت في مسجد رسول الله، ويحرّض عليَّ الطغام وأهل المدينة!

فقال له الحسن عليه السلام: «على مثل الحسين ابن النبي صلى الله عليه وآله يشخب بمن لا حكم له، أو يقول بالطغام على أهل دينه؟ أما والله ما نلت إلا بالطغام، فلعن الله من حرّض الطغام!

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: «مهلاً يا أبا محمد فإنَّك لن تكون قريب الغضب، لا لئيم الحسب، ولا فيك عروق من السودان، استمع كلامي ولا تعجل بالكلام».



فقال له عمر: يا أبا الحسن إنهما ليهمان في أنفسهما بما لا يرى بغير الخلافة.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «هما أقرب نسباً برسول الله من أن يهما، أما فارضهما يا بن الخطاب بحقهما يرض عنك من بعدهما».

قال: وما رضاهما يا أبا الحسن؟

قال عليه السلام: رضاهما الرّجعة عن الخطيئة، والتقيّة عن المعصية بالتوبة.

فقال له عمر: أدّب يا أبا الحسن ابنك أن لا يتعاطى السلاطين الذين هم الحكماء في الأرض.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: «أنا أؤَدّب أهل المعاصي على معاصيهم، ومن أخاف عليه الزلّة والهلكة، فأما من والده رسول الله، ونحله أدبه فإنَّهُ لا ينتقل إلى أدب خير له منه، أما فارضهما يا بن الخطّاب!».

قال: فخرج عمر فاستقبله عثمان بن عفان، وعبد الرحمن ابن عوف، فقال له عبد الرحمن: يا أبا حفص ما صنعت فقد طالت بكما الحجّة؟

فقال له عمر: وهل حجّة مع ابن أبي طالب وشبليه؟!

فقال له عثمان: يا بن الخطاب، هم بنو عبد مناف الأسمنون والناس عجاف.

فقال له عمر: ما أعدّ ما صرت إليه فخراً فخرت به بحمقك!

فقبض عثمان على مجامع ثيابه ثم نبذ به ورده، ثم قال له: يا بن الخطاب، كأنّك تنكر ما أقول، فدخل بينهما عبد الرحمن وفرّق بينهما، وافترق القوم.

كتاب الاحتجاج للطبرسي

كلمـات مـن نـور

اللهم لك الحمد حمد الشاكرين

السـؤال: ما الفرق بين لفظي الحمد والشكر؟! وما هو معنى الحمد لله حمد الشاكرين؟

فمنهـم من ذهب إلى ترادفهما كمـا ينقل عن المبرد وغيره، ومنهـم من ذهب إلى العموم المطلـق بينهما؛ كالراغب صاحب المفـردات وكما هو رأي كثير من العلماء، وقد يكون هو الأظهر، ومنهـم من ذهب إلى أنّ النسـبة بينهما هـي العموم من وجه؛ كما هو رأي أبي هلال العسكري وكما هو رأي الكثير أيضاً، وهو الأقـوى، ومنهم من يلوح منـه تباينهما الجزئـي أو المطلق، بل الارتباك الشـديد بين ذينيك، ويشـتد الارتباك فيما لو أضفنا إليهما معنى المـدح طالبين الفرق بين الثلاثة...!!!

ومـن باب ما لا يدرك كله لا يترك جلّه، نكتفي بسـرد الفرق الآتي بين لفظي الحمد والشـكر، فهو ممّا اتفقوا عليه ولو بنحو الإجماع المركّب:

فالحمـد هـو: الاعـتراف اللسـاني (= الذكـر = القـول = الثنـاء) بحسـن وجميل ما صدر من المحسِـن.

تفصيلاً كان علمنا بحسـن (= جميل = إحسـان) ما صدر من المحسن أم كان إجمالاً، وكذلك سواء علمنا بالحكمة المطويّة فيما صدر من المحسن أم لم نعلم؛ لكفاية اليقين الإجمالي بأنّه جميل حسن، وسواء كان مؤلماً أم كان لذيذاً،،، وهكذا.

وبعبـارة موجـزة؛ فالحمـد: هو الثناء باللسـان علـى ما هو جميل حسـن عند المحسن ومنه.

أمّـا أصـل الشـكر فهـو: تعظيـم (= الاعـتراف القلبـي = الاقـرار النفسـي = الإذعان الروحـي) المنعم قبال مـا أنعم.

وهـذا هـو مقصود الطبرسـي رضـوان الله عليـه في مجمع البيان حيث قال: فالشـكر هـو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم.

ولا بأس بالتعرّض لمعنى المدح هنا؛ وهو في الأصل والجملة: الاعتراف باللسان فيما يتعلّق بالصفات.

فنقـول من باب التبسـيط: المـدح أعم من الجميـع؛ فمتعلق الحمـد خصوص ما يصـدر من المحسـن من فعل الاحسـان، وأما متعلق الشـكر فهو ما وهب المنعم مـن النعمة، وأما متعلّق المدح؛ فأعم من ذلك؛ فقد يتعلّق بما هو ليس إحسان ولا نعمة، كالصفـات، نقـول هذا عالم، وهذا شـاعر مفوه، هذا سـخي، سـواء كان الممـدوح، حيـاً أم ميتاً.

فإذا اتضح هذا؛ فههنا أمور:

أولاً

إنّ الحمـد لله، على كل حال؛ فيما أذن به من الخير والشـرّ سـواء؛ ووجهه: إنّه حسن جميل، ولو كان عاقبة في الآجل وليس في الحاظر العاجل؛ وعليه فهو جميل حسـن على كلّ حال؛ غاية ما في الأمر، غياب الحكمة والحسـن والمصلحة عنّا في العاجل واليقين بها في الآجل.. وعليه فما أذن به الله تعالى من الشـرّ، هو ممّا يحمد عليه سـبحانه وتعالى على كلّ حال.

أمّـا الشـكر، فلا؛ لكونـه تعظيماً لما علم مـن نعمة المنعم في العاجل والآجل؛ فلا يتعلّق بالشـرّ أبداً، فافترقا من هذه الجهة تماماً.

ثانياً

قلنـا إنّ الحمـد ذكر وثنـاء باللسـان، أما الشـكر، فهو من هذه الجهة أعم؛ لكونه تعظيماً، وهو لا ينحصر بالقلب والجنان وحسـب، فقد يكون (التعظيم وليـس الثناء) بالنطق واللسان، وقد يكـون بكاءً بالعيـون، وتقبيلاً بالشـفاه، وخدمـة بالأيادي والأركان.

ثالثاً

الغرض من الحمد؛ لدفع تهمة الجحود وهذا يتمّ باللسـان، أما الشكر فللإيمان وإزاحة الكفران على ما أمر الرحمن وذكر أهل اللسان!!!

* **صفوان ضياء قاسم**

الأسئلة

١. خلق الله الأرض وحدها في كم يوم.

٢. تجب الزكاة فيها إذا بلغت النصاب.

٣. فيمن نزل قوله تعالى ويل لكل همزة لمزة.

٤. الهدف من اجتماع قريش في دار الندوة.

٥. عاصمة دولة عربية بناها سام بن نوح.

٦. نبات ينمو بلا أوراق.

٧. عـدد الصحـف التي أنزلت على موسـى قبل نزول التوراة.

٨. قوم كانوا ينحتون من الجبال بيوتاً.

٩. خال ابن عمة أخيك الذي هو من أمك وأبيك.

١٠. أكبر دولة من حيث عدد الجزر.

١١. من الحيوانات الممسوخة.

غ	و	أ	ل	ن	ص	س	ح	س	ذ	س	ط	ض	ي	ض
ص	ه	ن	ح	ق	ن	ه	ع	ب	ج	ط	ر	ب	ف	ك
ح	س	د	ق	ش	ظ	ط	ن	ث	ه	ي	ن	ذ	و	ج
ق	ف	و	ص	ز	ه	ل	م	د	ز	ل	و	ب	ل	ص
و	إ	ن	ض	ث	ف	ج	ث	ن	ا	و	أ	م	ث	ش
م	ق	ي	د	ت	ت	ر	خ	ل	ع	ث	غ	و	ي	ف
ث	ل	س	د	إ	ا	ل	ت	ن	ز	ش	د	م	ص	ن
م	و	ي	ض	ب	ا	ق	م	ه	ث	ز	ر	ل	إ	ط
و	ه	ا	ص	ي	ت	ل	ك	ث	ح	ظ	ع	ة	ي	د
د	ت	ل	ج	ظ	ث	ش	ف	ظ	ط	ل	ق	ب	ف	ط
ث	ا	ط	غ	ط	ب	ش	ض	س	ذ	ن	ح	إ	خ	ي
ا	ل	و	ل	ي	د	ب	ن	ا	ل	م	غ	ي	ر	ة
غ	ص	ن	ع	ا	ء	ظ	ك	ش	ش	ل	ص	غ	ذ	ع
ر	و	ز	ل	ت	ل	ز	ب	ا	ل	إ	ب	ل	ث	ف
ز	ض	ش	ج	غ	غ	غ	ن	د	ذ	ل	ل	ق	ص	ه



حل مشكلة كتابة حرفي (الضاد) و(الظاء)

متى تكتب حرف (الضاد) ومتى تكتب حرف (الظاء)؟

كثيراً ما يقع البعض في الخطأ، فلا يميزون بين الظاء والضاد أثناء الكتابة. فيخرج النص بطريقة مشوهة.

يقول ابن الحداد المهدوي إنَّ في اللغة العربية ثلاثاً وتسعين كلمة تكتب بحرف (الظاء) وما سواها فيكتب بحرف (الضاد).

وقد وجدنا أن منها الغريب غير المستعمل فنقيناها وصفيناها واخترنا أشهرها وما هو متداول اليوم فوجدناها اثنتين وثلاثين كلمة تحوي حرف (الظاء (ظ)) وما عداها فهي تكتب بحرف (الضاد (ض)) وتسلم بعدها من الخطأ إن شاء الله.

أما الكلمات الـ(٣٢) التي تكتب بحرف (الظاء) فهي كالآتي:

١. الحَظّ: بمعنى النصيب.
٢. الحفْظ: وهو ضد النسيان.
٣. الحَظْرُ: وهو المنع.
٤. الحَظْوَةُ: وهي الرفعة.
٥. الظلم: وهو ضد العدل.
٦. الظليم: وهو ذكر النعام.
٧. الظبي: وهو الغزال.
٨. الظبة: وهي طرف السيف.
٩. الظعن: وهو السفر بالنساء.
١٠. الظرف.
١١. الظريف.
١٢. الظَّنُّ.
١٣. الظِّلُّ.
١٤. الظفر: وهو ضد الخيبة.
١٥. الظهر.
١٦. الظماء.
١٧. الكظم: وهو كتم الحزن.
١٨. اللحظ: وهو النظر.
١٩. اللفظ.
٢٠. النّظْمُ. ومنها النظام.
٢١. النظافة.
٢٢. النظَر.
٢٣. العظم.
٢٤. العظيم.
٢٥. العَظَل: وهو الشدة، من قولهم: أمر معظل.
٢٦. الغيظ: أعني الحنق.
٢٧. الفظاظة: وهي القسوة.
٢٨. الفظاعة: من الأمر الفظيع، وهو الشنيع.
٢٩. التقريظ: مدح الحي بالشعر.
٣٠. المواظبة.
٣١. الوظيفة.
٣٢. اليقظة: ضد النوم.

ختاماً

أي كلمة تبدأ بأحد الحروف التالية لا يوجد فيها حرف (الظاء) بتاتاً!!

(أ– ت – ث – ذ – ز– ط – ص – ض – س)

ملاحظة:

قاعدة الأحرف أعلاه تطبق على المفرد وليس الجمع!

فمثلا كلمة أظافر مفردها ظفر.

اذا نظر للقاعدة نلاحظ أن الكلمة لم تبدأ بالأحرف السابقة وعليه نكتبها ب(الظاء).

مسألة

هناك مشكلة في كتابة الألف المقصورة والممدودة والسؤال: متى تكتب الألف مقصورة أو ممدودة؟ (عفا أم عفى؟!) أيهما الصواب في هذه الأفعال الماضية؟ (دعا أو دعى، قضى أو قضا، بكى أو بكا، رجى أو رجا)

بكل سهولة واختصار وحتى لا تتعب نفسك.

تذكر ما هو المضارع من الفعل نفسه: فإذا كان المضارع منه ينتهي بحرف الـ(واو): فاكتب الفعل الماضي بألف ممدودة.

مثال: (يدعو «دعا) (يعفو «عفا)

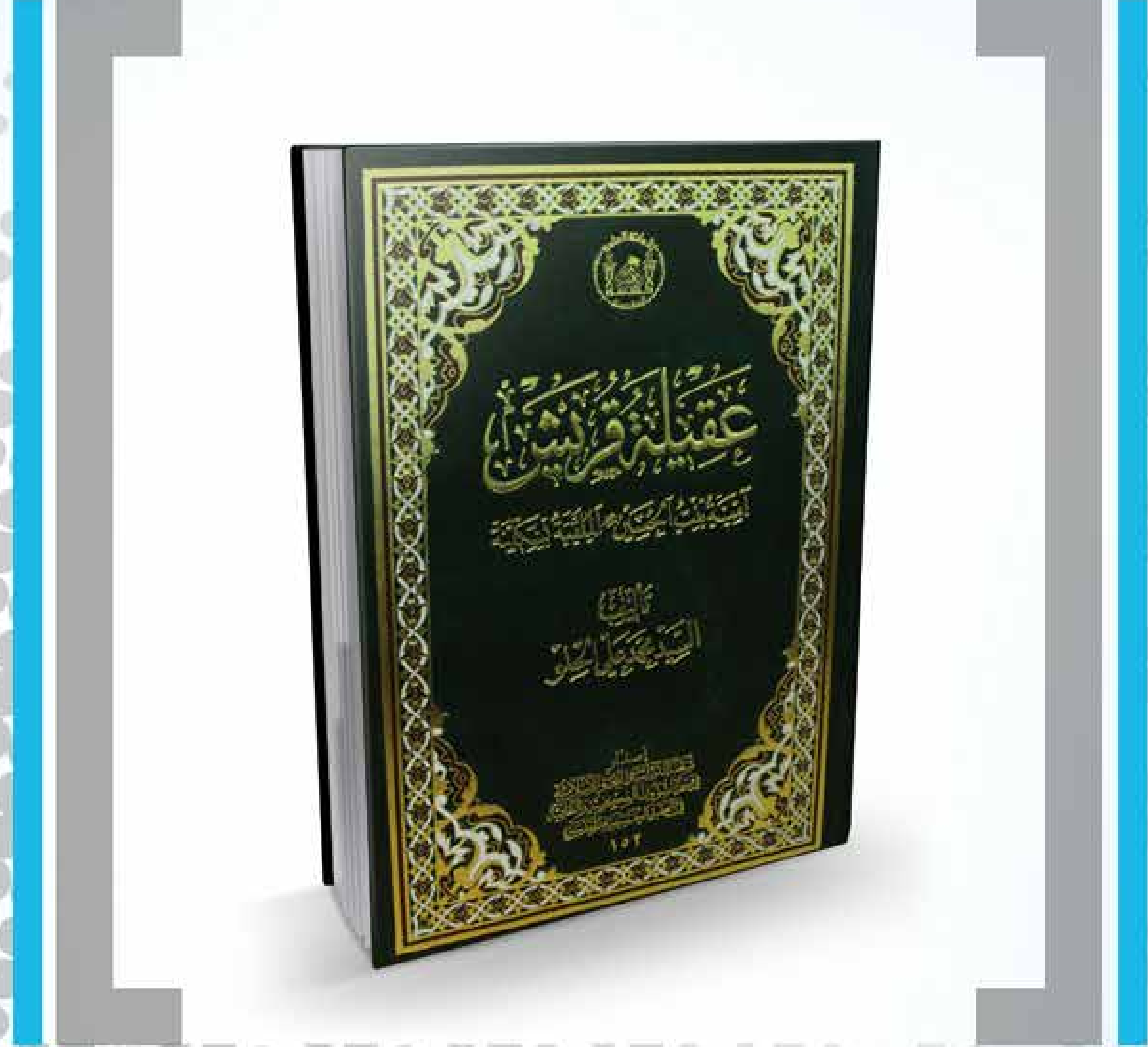
وإذا كان المضارع منه ينتهي بحرف الـ(ياء): فاكتب الماضي بألف مقصورة.

مثال: (يقضي «قضى) (يرمي «رمى).

فبإمكانك أن تطبّق هذه القاعدة على باقي الأفعال.

بقلم: علي حسين

صدر حديثاً عن قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبـــة الحسينيـــة المقدســـة





■ تعلن إدارة مجلة الوارث عن البدء في استقبال البحوث والمقالات العلمية والإسلامية لنشرها ضمن أعداد المجلة القادمة، علماً أن المقالات ستخضع للتقييم العلمي.

يرجى إسال الأعمال على البريد الإلكتروني التالي:

info@imamhussain-lib.com